المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
البطاقة التعريفية لكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة المزمل"

أولا ً: التعريف بالكتاب

اسم الكتاب المفاهيم القرآنية من سورة المزمل
موضوع الكتاب تفسير وتحليل للمفاهيم القرآنية الواردة في سورة المزمل، مع تركيز خاص على الأ بعاد النفسية والتربوية والعملية للداعية والمؤمن
طبيعة الكتاب رسالة تفسيرية متخصصة تهدف إلى تحويل المفاهيم القرآنية إلى طاقة لبناء الإنسان و المجتمع .يتناول الكتاب سورة المزمل كوحدة متكاملة، وليس مجرد تفسير آية بآية
تأليف أحمد عبد الرزاق مربوش العامري
مراجعة وتدقيق الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

ثانياً: محاور الكتاب ومحتواه

ينقسم الكتاب إلى محاور رئيسية تغطي سورة المزمل كاملة) آياتها العشرون(، ويمكن تلخيصها كالتالي:

.1محور الاستعداد والتهيؤ) الآيات1 -(4: يركز على نداء "يا أيها المزمل"، وأمر قيام الليل وترتيل القرآن، باعتبارهما أساساً لتحمل أعباء الرسالة.
.2محور فهم طبيعة التكليف) الآيات5 -(7: يشرح معنى "القول الثقيل" و"ناشئة الليل"، ويربط بين شدة التكليف والحاجة إلى الاستعداد الروحي.
.3محور الصبر والتوكل والتبتل) الآيات8 -(10: يتناول أمر الله لنبيه بذكر اسمه والتبتل إليه، والصبر على أذى المشركين، والهجر الجميل.
.4محور التمحيص والابتلاء) الآيات11 -(14: يوضح سنة الله في تمحيص المؤمنين وتمييز الخبيث من الطيب، ووعيد المترفين المكذبين.
.5محور التذكير بالعاقبة) الآيات15 -(16: يستدعي قصة فرعون كنموذج تاريخي للعاقبة الوخيمة للطغاة والمكذبين.
.6محور أهوال يوم القيامة) الآيات17 -(19: يصور هول يوم القيامة الذي يشيب فيه الولدان وتنفطر السماء، ويؤكد أن القرآن تذكرة لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ً.
.7محور التخفيف والرحمة) الآية(20 : يختتم الكتاب بآية التخفيف التي تراعي أحوال الناس المختلفة، وتأمر بقراءة ما تيسر من القرآن، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقراض الحسن، والاستغفار.

ثالثاً: منهجية الكتاب

يعتمد الكتاب منهجية تفسيرية تحليلية تجمع بين:

· الوحدة الموضوعية: ينظر إلى سورة المزمل كوحدة متكاملة، ويربط بين آياتها في سياق واحد.
· التفسير البنائي: يهدف إلى استخلاص مفاهيم بناءة من الآيات، وليس مجرد شرح لغوي.
· التكامل بين العلوم: يدمج بين التفسير القرآني والعلوم النفسية والتربوية والاجتماعية.
· التطبيق العملي: يحرص على تحويل المفاهيم النظرية إلى سلوكيات وممارسات عملية في حياة الداعية والمؤمن.
· التحليل النفسي والتربوي: يركز على الأثر النفسي للآيات وكيفية بناء الشخصية الإيمانية.

رابعاً: أسلوب المؤلف وأهميته

· الوضوح والتنظيم: يتميز أسلوب المؤلف بالوضوح والترتيب المنطقي، مع تقسيم الآيات وعنونة المحاور.
· العمق والشمول: يجمع بين التفسير اللغوي والبياني، والتحليل النفسي والتربوي، والرسائل العملية.

· التركيز على "المحرك السلوكي": يقدم المؤلف لكل آية "محركاً سلوكياً" يحول المعنى النظري إلى فعل عملي، مما يضفي طابعاً تطبيقياً فريداً.
· الربط بين السور: يبرز العلاقة الوثيقة بين سورة المزمل وسورتي الجن والمدثر، ويظهر التناسق القرآني في بناء شخصية الداعية.

خامساً: ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

1.التركيز على "بناء الداعية": لا يقتصر على التفسير التقليدي، بل يوجه كل آية لبناء شخصية الداعية نفسياً وروحياً وعملياً.
2.المنهج التطبيقي: يقدم خطوات عملية وتدريبات يومية لاستثمار الآيات في الحياة الواقعية.
3.التحليل النفسي المعمق: يهتم بالأبعاد النفسية للآيات، مثل علاج الخوف والقلق والغضب، وبناء الثقة بالنفس.
4.الربط بين المفاهيم: يظهر الترابط بين مفاهيم "الرشد" و"التبتل" و"القول الثقيل" و"الصبر الجميل"، مكوناً منهجاً متكاملاً.
5.اللغة المعاصرة: يستخدم لغة قريبة من العصر، ويخاطب هموم الداعية والمؤمن في واقعنا المعاصر.

سادساً: الجمهور المستهدف بالكتاب

· الدعاة والمربون: الذين يسعون لفهم أعمق لسورة المزمل وتطبيقاتها في العمل الدعوي والتربوي.
· طلاب العلم الشرعي: الراغبون في دراسة التفسير الموضوعي والمنهجي.
· المفكرون والباحثون: المهتمون بالدراسات القرآنية النفسية والتربوية.
· المسلمون عامة: الراغبون في تطوير علاقتهم بالقرآن وفهمه فهماً عميقاً مؤثراً في حياتهم.

سابعاً: أهداف وأغراض المؤلف

1.تحويل المفاهيم القرآنية إلى طاقة بناء: استخلاص مفاهيم عملية من السورة لبناء الإنسان و المجتمع.
2.تأهيل الداعية نفسياً وروحياً: تقديم منهج قرآني لإعداد الداعية لمواجهة تحديات الدعوة.
3.إبراز الجانب التربوي في القرآن: إظهار أن القرآن ليس مجرد تشريع، بل منهج حياة وتربية للنفس.
4.ربط العبادة بالحياة: إظهار أن العبادات) كقيام الليل والترتيل (ليست طقوساً، بل وسائل لبناء الشخصية واكتساب القوة.
5.تصحيح المفاهيم الخاطئة: معالجة الإشكاليات المعاصرة في فهم الدين، كالتغليب الخاطئ للعقل على الروح أو العكس.

ثامناً: المفاهيم المستخلصة من الكتاب

· مفهوم "المزمل": الإنسان خلف القناع، وقيمة الإنسان في حقيقته لا في ردائه الاجتماعي.
· مفهوم "الرشد": الاستقرار النفسي على يقين أن ما تحمله هو الحق المطلق.
· مفهوم "التبتل": الانقطاع التام لله، وهو أعلى درجات الإخلاص.
· مفهوم "الترتيل": إبطاء الزمن لتدوق الحقائق، وترياق السطحية.
· مفهوم "القول الثقيل": الحقيقة التي تغير موازين الحياة، وتكوين الشخصية لا مجرد نقل المعرفة.
· مفهوم "الصبر الجميل": عدم الرد على الإساءة، والهجر بكرامة وعزة.
· مفهوم "التوكل": تفويض الأمر لله بعد الإيمان بربوبيته وألوهيته.
· مفهوم "التمحيص": اختبار الله لعباده لتمييز الخبيث من الطيب، ورفع درجات الصابرين.
· مفهوم "التذكرة": القرآن صفعة يقظة، وليس مجرد كتاب يقرأ.

تاسعاً: لماذا يجب أن تقرأ الكتاب؟

· لفهم عميق لسورة المزمل: يقدم لك قراءة مغايرة تتجاوز التفسير اللفظي إلى العمق النفسي و التربوي.
· لبناء شخصية الداعية: يمدك بمنهج عملي لتأهيل نفسك لمواجهة تحديات الحياة والدعوة.
· لتطبيق القرآن في حياتك: يحول المفاهيم النظرية إلى خطوات عملية وسلوكيات يومية.
· لمعالجة الإشكاليات المعاصرة: يعالج قضايا مثل التغليب الخاطئ للعقل أو الروح، والانفصام بين العبادة والحياة.
· لاكتساب طاقة روحية: يعينك على فهم كيفية استمداد القوة من خلال قيام الليل والترتيل والتبتل.

عاشراً: مخرجات الكتاب

.1فهم منهجي متكامل لسورة المزمل: إدراك الترابط بين آياتها ومراحلها المختلفة.
.2بناء نفسي رصين للداعية: شخصية تجمع بين الشجاعة العقلية والاستقامة الروحية.
.3آلية عملية للتعامل مع التحديات: استراتيجيات للصبر على الأذى، والهجر الجميل، وتفويض الأمر لله.
.4منهج حياة متوازن: الجمع بين العبادة والعمل، والروح والجسد، والذكر والإنفاق.
.5استعداد ليوم القيامة: استحضار هول اليوم الآخر كدافع للعمل الصالح وليس كشلل.

أحد عشر: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

"الداعية هو عملة ذات وجهين: وجه خارجي يواجه العالم بـ 'الرشد' والوضوح، ووجه داخلي يواجه نفسه بـ 'الترتيل والتبتل'.") من الصفحة(2

"من يملك الرشد دون تبتل يصبح 'مقروراً بمعرفته'، ومن يملك التبتل دون رشد يصبح 'منعزلا ً عن واقع الأمة.") من الصفحة(2

"الترتيل هو 'إبطاء الزمن' لتدوق الحقائق .إن حياتنا السريعة تجعلنا سطحيين؛ الترتيل هو ترياق السطحية.") من الصفحة(7

"القول الثقيل هو 'الحقيقة التي تغير موازين حياتك' .أي رسالة تحملها ولا تشعر بثقل المسؤولية، فهي لم تنضج فيك.") من الصفحة(7

"الذكر هو 'سدة منيعة' تحمي القلب من الوساوس والأفكار السلبية.") من الصفحة(20

"إنّ الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.") من الصفحة(45

الخلاصة

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة المزمل" هو أكثر من مجرد تفسير تقليدي؛ إنه رسالة تربوية ونفسية عملية تهدف إلى بناء الداعية والمؤمن بناءً متكاملا ً .يجمع الكتاب بين العمق التحليلي والتطبيق العملي، ويقدم رؤية منهجية لاستثمار آيات السورة في مواجهة تحديات الواقع المعاصر .يتميز بأسلوبه الواضح، وتركيزه على "المحرك السلوكي"، وربطه بين المفاهيم القرآنية والعلوم النفسية، مما يجعله مرجعاً مهماً لكل من يسعى لفهم أعمق للقرآن وتطبيقه في حياته.

بسم الله الرحمن الرحيم
التعريف بسورة المزمل

١/ عدد آيات السورة

عدد آيات سورة المزمل هو عشرون آية (٢٠) في المصحف كاملا ً.

٢/ مكان نزول السورة

مكية، نزلت في مكة المكرمة

٣/ ترتيب السورة

· الترتيب في المصحف المرتل: السورة رقم.٧٣
· من حيث النزول: نزلت بعد سورة الجن وقبل سورة المدثر.

٤/ أسماء السورة وسبب التسمية

· الاسم: سورة المزمل.
· سبب التسمية: سميت بذلك لأن الله تعالى نادى نبيه ﷺ بوصف "المزمل"، أي المتغطي بثيابه، في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ"وقد كان النبي ﷺ في أول الوحي يلفُ نفسه بثيابه) دثاره (طلباً للراحة والسكينة، فناداه ربه بهذا الاسم ليأمره بالقيام للعبادة

٥/ الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت في مكة في مرحلة مبكرة جداً من البعثة النبوية وهي تمثل مرحلة "التكوين والتمكين الروحي" للداعية .نزلت في جوٍ كان النبي ﷺ فيه مثقلا ً بأعباء الرسالة، يلتف بثيابه طلباً للسكينة، فجاءه النداء الرباني ليواجه هذا الثقل بالاستعداد الروحي وهي على صلة وثيقة بسورتي الجن) التي سبقتها (والمدثر) التي تلتها (في السياق المكي

٦/ أسباب النزول للسورة وبعض آياتها

· السبب العام: تعبئة النبي ﷺ ودعوته للاستعداد لتحمل أعباء الدعوة، وتثبيته وتجهيزه نفسياً وروحياً لمواجهة المشاق.
· سبب نزول بداية السورة) الآيات١ -(٤: أمر الله لنبيه ﷺ بقيام الليل وترتيل القرآن، ليكون ذلك عدّة له لتحمل "القول الثقيل"
· سبب نزول الآية) ٢٠ آية التخفيف(: لما علم الله مشقة قيام الليل على النبي ﷺ والذين معه، خفف عنهم ورخص لهم بقراءة ما تيسر من القرآن، وبيّن لهم أحوالهم المختلفة) مرضى، مسافرون، مجاهدون

٧/ أهداف وأغراض السورة

.١إعداد الداعية نفسياً وروحياً لتلقي الوحي وتحمل أعباء الرسالة والدعوه. ❲
.٢تعليم كيفية التعامل مع الوحي من خلال الترتيل والتبتل
.٣تربية الداعية على الصبر على أذى المكذبين، والأمر بالهجر الجميل ❲
.٤تثبيت فؤاد النبي ﷺ وطمأنته بأن الله متكفل بالرد على المكذبين.
.٥إظهار سنة التمحيص والابتلاء وتمييز الخبيث من الطيب

٦.التذكير بأهوال يوم القيامة كحافز للعمل الصالح.]
٧.التخفيف عن الأمة ومراعاة أحوال الناس المختلفة، وإظهار أن الله يريد اليسر

٨/ الموضوع الرئيسي للسورة

الموضوع الرئيسي هو "إعداد الداعية والمسلم للقيام بأعباء التكليف" . [تقدم السورة منهجاً متكاملا ً لبناء الشخصية الإيمانية والدعوية، بدءاً من الاستعداد الروحي) قيام الليل والترتيل(، مروراً بفهم طبيعة التكليف) القول الثقيل(، ثم مواجهة التحديات) الصبر والتبتل(، وانتهاءً بالثبات على الطريق مع مراعاة اليس

٩/ محاور السورة والمواضيع التي تتحدث عنها

تنقسم سورة المزمل إلى سبع مراحل متكاملة تشكل منهجاً بناء [:
١.مرحلة الاستعداد والتزود الروحي) الآيات١ -(٤: الأمر بقيام الليل وترتيل القرآن كوسيلة لتحمل "القول الثقيل".
٢.مرحلة فهم طبيعة التكليف) الآيات٥ -(٧: بيان أن الوحي "قول ثقيل"، وبيان أثر قيام الليل على تهيئة النفس
٣.مرحلة الصبر والتوكل والتبتل) الآيات٨ -(١٠: الأمر بذكر الله، والتبتل إليه، والصبر على أذى المشركين، والهجر الجميل
٤.مرحلة التمحيص والابتلاء) الآيات١١ -(١٤: بيان سنة الله في ابتلاء المؤمنين وتمييز الخبيث من الطيب، ووعيد المترفين.
٥.مرحلة التذكير بعاقبة المكذبين) الآيات١٥ -(١٦: ضرب المثل بفرعون كعبرة تاريخيه
٦.مرحلة أهوال يوم القيامة) الآيات١٧ -(١٩: تصوير هول يوم القيامة، وبيان أن القرآن تذكرة لمن شاء.
٧.مرحلة التخفيف والرحمة) الآية(٢٠ : التخفيف عن الأمة، وجمع العبادات) الصلاة، الزكاة، القرض الحسن، الاستغفار.]

١٠/ خصائص السورة وفضائلها

· منهج تربوي متكامل: تشكل خريطة متكاملة لبناء الداعية، تجمع بين التزكية الروحية والعمل الدعوي
· الجمع بين الترغيب والترهيب: تجمع بين أهوال يوم القيامة ورحمة الله الواسعة.]
· مرونة التشريع: ختمت بآية التخفيف التي تراعي أحوال الناس المختلفة) مرضى، مسافرون، مجاهدون[(
· بدء بالشدة وختم بالرحمة: بدأت بنداء شديد "يا أيها المزمل" وأمر بقيام الليل، وختمت بالقول "إن الله غفور رحيم" وقراءة ما تيسر[
· فضلها: ورد في سبب نزولها أنها كانت سبباً في تثبيت النبي ﷺ وتحمل أعباء الرسالة .وقد وصفها بعض العلماء بأنها "مدرسة" للدعاة والقادة

١١/ ما انفردت به السورة

· منهج الصعود من الخبر إلى العمل: تبدأ بالإيمان بالغيب) سورة الجن(، ثم تنتقل إلى التزكية)المزمل(، ثم إلى العمل والدعوة) المدثر
· تركيزها على البناء النفسي للداعية: تفردت بمعالجة الجوانب النفسية العميقة للداعية، كالخوف و القلق والغضب، وتقديم علاجاتها القرآنية.]
· صياغة مفهوم "القول الثقيل": وهو مفهوم فريد يصف طبيعة الوحي وأثره في نفس النبي ﷺ
· التدرج في التكليف: تفردت بمنهج التدرج من التكليف الشاق) قيام الليل كله أو نصفه (إلى التخفيف) قراءة ما تيسر(

١٢/ مقاصد السورة

١.تزكية النفس وتهذيبها من خلال العبادات الليلية) قيام الليل، الترتيل، التبتل(
٢.ترسيخ العقيدة بإثبات وحدانية الله وقدرته، واليوم الآخر. 【
٣.تربية الأمة على الجهاد بأنواعه) جهاد النفس، جهاد العدو، جهاد المال(
٤.تحقيق التوازن بين الروح والجسد والمال في العبادة
٥.فتح باب الأمل والرحمة للمذنبين، وحثهم على التوبة والاستغفار. 【
٦.تعليم الأمة كيف تواجه التحديات بالصبر، والتوكل، والتبتل، والهجر الجميل

الخلاصة

سورة المزمل هي منهجٌ رباني متكامل لإعداد الداعية والمؤمن نفسياً وروحياً وعملياً .تبدأ بنداء "يا أيها المزمل" لتوقظ المسلم من غفلته، وتأمره بقيام الليل وترتيل القرآن، ثم تنتقل به عبر مراحل الصبر والتوكل والتبتل، مروراً بفهم سنن الابتلاء والتمحيص، وانتهاءً بتذكر أهوال يوم القيامة .تختم السورة برحمة الله الواسعة وتخفيفه عن عباده، مؤكدة أن الدين يسر، وأن الله غفور رحيم .إنها "مدرسة التربية الربانية" للدعاة والقادة.

بسم الله الرحمن الرحيم
سوره المزمل
مقدمه تمهيديه
اولا:-التناسب بين ما اختتمت به سورة الجن وبين افتتاحية سوره المزمل
يظهر التناسب والارتباط الوثيق بين ختام سورة "الجن" وافتتاحية سورة "المزمل" في وحدة الموضوع وانسجام المعاني، حيث تعد السورتان متصلتين في السياق القرآني من حيث محور الدعوة والتعامل مع الوحي.
إليك بيان هذا التناسب:
1. الاستعداد لتحمل أعباء الرسالة (الواقعية والعملية)
* **في ختام سورة الجن:** انتهت السورة ببيان أن الله تعالى أحاط بكل شيء علماً، وأنه أحصى عدد كل شيء، وأن الرسل يبلغون رسالات ربهم تحت حفظه ورعايته. قال تعالى: {لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}.
* **في افتتاحية سورة المزمل:** جاءت لتنقل النبي ﷺ من مقام "البلاغ" العام إلى مقام "التكليف" الخاص والشاق. فبعد أن استقر في يقين النبي أن الله أحصى كل شيء، جاء الأمر بـ {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا}، وهو استعداد عملي وروحاني لحمل "القول الثقيل" الذي سيأتي ذكره في السورة.
2. التدرج في إعداد الداعية
هناك تسلسل منطقي بين السورتين:
* في **الجن**، تم إثبات أن الرسالة محفوظة وأن الله ناصر رسله، مما يعطي النبي ﷺ "الطمأنينة القلبية".
* في **المزمل**، يبدأ "التدريب العملي" لهذه الطمأنينة عبر قيام الليل، وقراءة القرآن بترتيل، و التبتل إلى الله؛ ليكون النبي ﷺ في مستوى التحديات التي ستواجه دعوته.
3. التناسب في موضوع "الوحي"
* سورة **الجن** ركزت على إيمان الجن بالوحي وشهادتهم بأن هذا القرآن يهدي إلى الرشد، مما يثبت "عالمية الرسالة".
* سورة **المزمل** بدأت بتعليم النبي ﷺ كيفية التعامل مع هذا الوحي (القرآن) الذي آمن به الجن، وكيفية التلقي عنه بالترتيل والتدبر، فقال: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}.
ملخص التناسب
يمكن القول إن سورة **الجن** جاءت **لإثبات صدق الرسالة وعظمة القرآن** من خلال إيمان الجن بها، بينما جاءت سورة **المزمل** لتكون **منهاجاً عملياً** للنبي ﷺ في كيفية التهيؤ لحمل هذا القرآن الذي شهد الجن بصدقه، وذلك من خلال العبادة والخلوة والقيام.
فالجن ختمت بـ **"إحصاء الله لأعمال الرسل"**، والمزمل بدأت بـ **"توجيه الرسول إلى تزكية نفسه"** ليؤدي هذه الأعمال على أكمل وجه.
ثانيا:- الارتباط الموضوعى بين السورتين:
تتسم السور المكية المتتابعة في هذا الجزء من القرآن الكريم) لاسيما في خواتيم المفصل (بـ **"البناء المتصاعد" **لشخصية الداعية وللأمة المسلمة .فإذا نظرنا إلى السياق العام الذي يجمع سورة الجن، المزمل، والمدثر، نجد خيطاً ناظماً يربطها، وهو** "مرحلة التكوين والتمكين الروحي".**
إليك بعض الروابط الموضوعية البارزة في هذه السلسلة:
1. الانتقال من "الإخبار" إلى "الأمر"
*** سورة الجن: **ركزت على** الإخبار **عن الغيب وعن إيمان الجن بالوحي، وهو ما يمثل مرحلة تثبيت الحقيقة وتوسيع دائرة الشهادة على صدق الرسالة.
*** سورة المزمل: **انتقلت إلى** الأمر **المباشر ببدء العمل والتكليف والتبتل.
*** سورة المدثر: **جاءت بالانتقال إلى** الجهر بالدعوة **والإنذار العام:} قُم فَأَنذِر.{
*** الرابط: **هو تدرج من "الخبر") الذي يطمئن القلب (إلى "التكليف الداخلي") قيام الليل والترتيل (ثم إلى "التكليف الخارجي") الدعوة العلنية.(
2. وحدة "القول الثقيل"
ترتبط هذه السور بمرورها على طبيعة "القرآن" كرسالة ثقيلة ومؤثرة:
* في** الجن**: وصفه الجن بأنه:} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ.{
* في** المزمل**: وُصف بأنه:} إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا.{
* في** المدثر**: وُصف بأنه:} إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) {في معرض إنكار المشركين(، ثم ختمت بأن القرآن} تَذْكِرَةٌ.{
*** الرابط: **بيان قيمة "القول" وكيف يُتلقى وكيف يُصان.
3. التدرج في إعداد "الذات" للصدع بالحق
هناك وحدة موضوعية في تأهيل النبي ﷺ للثبات أمام معارضة المشركين:
*** الجن: **الحماية الإلهية للرسل) الرصد.(

*** المزمل: **الحماية بالارتباط بالله) قيام الليل.(
*** المدثر: **الحماية بالصبر على الأذى:} وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ.{
* هذا التسلسل يُظهر أن الداعية لا يمكنه مواجهة "الصدع بالحق") في المدثر (إلا إذا مر بـ "التبتل والترتيل") في المزمل(، والذي يستند بدوره إلى "اليقين بصيانة الوحي") في الجن.(
4. التناسب في الخطاب) من العموم إلى الخصوص(
تتدرج السور في توجيه الخطاب:
* سورة** الجن **تتحدث عن "الجن" و"الرسل" بشكل عام، مما يوسع آفاق التفكير في عظمة الرسالة.
* سورة** المزمل **تخصص الخطاب للنبي ﷺ وحده) يا أيها المزمل.(
* سورة** المدثر **تعود لتوسع الخطاب من خلال طبيعة الرسالة التي تتوجه للعالمين) فأنذر.(
هذا التسلسل القرآني العجيب يمثل** "منهجية تربوية" **متكاملة؛ إذ يبدأ باليقين، ثم ينتقل إلى التزكية، ثم يخرج إلى العمل والدعوة.
ثالثا:-أثر هذه السور على "البناء النفسي" للداعية ؟

في سياق البحث في المفاهيم القرآنية، لا تُقرأ سورة "الجن" وسورة "المزمل" كآيات منفصلة، بل كـ **"بناءٍ منهجي" **يهدف إلى تشكيل "نفسية الداعية" وتأهيلها للصدع بالحق .إذا أردنا استقراء أثر هاتين السورتين على البناء النفسي من خلال مناهج تدبر المفاهيم، فإننا نجد ملامح دقيقة تشكل "عموداً فقرياً" لشخصية الداعية:
1. من سورة الجن: "تحرر الوعي من سلطة الأوهام") مفهوم الرشد(
تعد سورة الجن في سياق البناء النفسي** "سورة التحرير" **من الخوف والتعظيم لغير الله.
*** أثرها في البناء النفسي: **الداعية الذي يستوعب مفهوم} إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ {يتخلص من حالة "الانبهار بالواقع" أو "الخوف من طواغيت الأرض" .حين يدرك الداعية أن هذا القرآن قد استوعب الجن) الذين هم رمز للغموض والقوة الخارقة في العقلية الجاهلية (وأخضعهم للحق، فإنه يكتسب** "استعلاءً إيمانياً" **يجعله ينظر إلى تحديات البشر على أنها صغيرة أمام عظمة المنهج.
*** المفهوم البنائي: **"الرشد" هنا ليس مجرد وعي معرفي، بل هو** "استقرار النفس" **على يقين أن ما تحمله هو الحق المطلق، مما يورث ثباتاً انفعالياً أمام ضغوط التكذيب.
2. من سورة المزمل: "استمداد القوة من ممارسة التبتل") مفهوم القوة الروحية(
بعد أن تحرر الوعي في "الجن"، تأتي "المزمل" لتقول إن هذا الوعي يحتاج إلى "مدد" ليبقى متوقداً.
*** أثرها في البناء النفسي: **تقرر السورة أن الداعية ليس مجرد "ناقل للمعلومات"، بل هو "حاملٌ لقول ثقيل" .إنّ بناء النفس هنا يعتمد على "موازنة" بين) الجهد الميداني (و)المدد الروحي .(قيام الليل والترتيل ليسا مجرد طقوس، بل هما** "إعادة برمجة للذات"**؛ ففي الترتيل، تتشرب النفسُ معانيَ القرآن، وفي التبتل، تنقطع عن زيف الدنيا، مما يبني** "مناعة نفسية" **عالية ضد "الإحباط".
*** المفهوم البنائي: **"القول الثقيل" يتطلب "عقلاً ورُوحاً ثقيلتين") بمعنى الرسوخ .(البناء النفسي للداعية هنا يتحول من) الضعف البشري (إلى) الاستمداد الرباني.(
3. تقاطع المفاهيم: بناء "الداعية الرباني"
عند دمج أثر السورتين في بناء شخصية الداعية، نجد النتيجة التالية:
** 1. الشجاعة العقلية) من الجن(: **الوعي بأن الحق الذي تحمله هو حقيقة كونية، لا يغير من جوهرها رفض الناس أو قبولهم .هذا يبني** "شخصية مستقلة" **لا تبحث عن تصفيق الجمهور.
** 2. الاستقامة الروحية) من المزمل(: **القدرة على تحويل الضعف البشري إلى طاقة من خلال "الخلوة مع الله" .هذا يبني** "شخصية صلبة" **لا تستنزفها المعارك الجانبية، لأنها تملك مصدراً للطاقة بعيداً عن أهواء الناس.
** 3. التناسب المنهجي: **الداعية الذي يغفل عن مفهوم "الرشد" في الجن، يسقط في التبعية أو الرهبة من الخلق .والداعية الذي يغفل عن مفهوم "الترتيل والتبتل" في المزمل، يسقط في التكلف أو الاحتراق النفسي.
الخلاصة في سياق "البحث في المفاهيم"
إنّ سياق البحث في المفاهيم القرآنية يقرر أن** "الداعية" هو عملة ذات وجهين**:
*** وجه خارجي: **يواجه العالم بـ "الرشد" والوضوح) الجن.(
*** وجه داخلي: **يواجه نفسه بـ "الترتيل والتبتل") المزمل.(
فإذا اختل أحد الوجهين، اختل بناء الداعية؛ فمن يملك الرشد دون تبتل يصبح "مغروراً بمعرفته"، ومن يملك التبتل دون رشد يصبح "منعزلاً عن واقع الأمة"** .البناء النفسي المتكامل للداعية هو ذلك الذي يجمع بين صفاء الوعي في "الجن" وقوة المناجاة في "المزمل"
رابعا:-
اختلال البناء بتغليب احد الوجهين فى بناء الداعيه (الروح والعقل) هو سبب الازمه و المشكلة التى نعانى منها في واقعنا المعاصر إشكالية في تغليب أحد هذين الجانبين) الوعي العقلي أو

التزكية الروحية (على حساب الآخر في بناء العاملين في الحقل الفكري فما هى خطوره هذا الاختلا
ل وكيف عالجها القران فى هاتين السورتين؟
إنّ هذا الاختلال هو في حقيقة الأمر "عصب الأزمة" في فكرنا التربوي والاجتماعي المعاصر. فالملا
حظ في واقعنا أننا صرنا أمام "ثنائية متنافرة" بدلا ً من "ثنائية متكاملة"، حيث ينقسم المشهد غ
البا ً إلى تيارين:
1. "فخ التسطيح العقلاني" (تغليب الرشد بلا زاد)
هذا الاتجاه يركز على "الوعي المفهومي" والخطاب الفكري والتحليلي (وهو ما قد يظنه البعض هو
"الرشد" في سورة الجن)، لكنه يفتقر تماما ً إلى "التبتل والترتيل" (المزمل).
* **المآل:** يتحول الداعية أو الباحث هنا إلى **"آلة تحليلية"**، يمتلك ناصية الفكر و
المصطلحات، لكنه يفتقر إلى السكينة والقدرة على التأثير الوجداني.
* **الأثر النفسي:** سرعان ما يصاب هذا النمط بـ **"التآكل الداخلي"** عند أول صدمة واقعية،
لأنه يستمد وقوده من "الجدل" لا من "التنزيل". وعندما تغيب "المزمل" عن حياة الباحث، يضطرب
ميزان التواضع وتتضخم "الأنا"، مما يفرغ الدعوة من "الروحانية" ويحولها إلى "أيديولوجيا جافة".
2. "فخ الانعزال الوجداني" (تغليب الروحانية بلا وعي)
هذا الاتجاه يركز على "التبتل والعبادة والترتيل" (المزمل)، لكنه يغفل عن "الرشد" و"المعرفة الكونية"
وفقه الواقع (الجن).
* **المآل:** يتحول الفرد إلى **"صوفيّ منطو"**، يمتلك طاقة روحية عالية، لكنها حبيسة
الجدران. لا يملك أدوات الاشتباك مع قضايا العصر، ولا يفهم "سنن التدافع" التي أرشدت إليها سورة
الجن.
* **الأثر النفسي:** يعيش هذا الفرد في حالة من "الانفصام" بين سموّ روحه وبين عجز واقعه،
مما يجعله غير قادر على تقديم حلول عملية لمشكلات المجتمع، فيتحول إلى "مراقب" سلبي بدلا ً
من "فاعل" رسالي.
لماذا يعتبر هذا "تحريفا" للمنهج القرآني؟
المشكلة الحقيقية في واقعنا ليست في "وجود" هذين الجانبين، بل في **"فصلهما"**. إن القرآن
الكريم، عبر التتابع بين الجن والمزمل، يقرر **قانون التكامل**:
* لا "رشد" (جن) بلا "استمداد" (مزمل).
* ولا "استمداد" (مزمل) بلا "رشد" (جن).
القرآن يريد **"عقلا ً موصولا ً بالوحي"** و**"روحا واعية بالسنن"**. عندما نفصل بينهما، فإننا
ننتج إما "مفكرا عاريا من الروح" أو "عابدا عاريا من الفكر".

القسم الاول
المبحث الأول

لقد أتممنا معا هذه الوقفة المتأملة مع آيات سورة الجن، حيث تجلى لنا كيف يمكن لكلمة الله أن
تفتح مغاليق القلوب في لحظة صدق وإقبال .والآن، ننتقل بروح التلميذ المتعطش، من عالم الجن إلى
عالم التكليف الرباني المباشر، لنطرق باب سورة المزمل.
سورة المزمل سورة "التربية بالقيام"، وهي تنزيلٌ يرسم خارطة طريق للداعية والمؤمن، كيف يتهيأ
لمهمة ثقيلة، وكيف يستمد القوة من حبال السماء .لنقف مع الآيات الأربع الأولى، حيث نداء الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم، وخطوات الاستعداد للمهمة الكبرى.
إليك التفسير الكامل والمفصل للآيات1) - (4من سورة المزمل:
أولا ً: نظرة عامة وتمهيدية للآيات1) - (4من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآيات
يتغير المشهد تماما هنا؛ نحن الآن في مكة، في مرحلة مبكرة من البعثة .النبي ﷺ عاد إلى بيته،
ثقلت عليه أعباء الرسالة، ولفّ نفسه بعباءته) دثاره (طلبا للراحة والسكينة .فجاء النداء الإلهي الذي
يكسر سكون الليل: "يا أيها المتغطي بثيابه، استعد! إن الذي ستحمله من أعباء هذا الدين يحتاج إلى
زاد خاص، زاد لا يكون إلا بالقيام بين يدي الله في جنح الليل" .يأمره الله أن يقوم للعبادة، ليأخذ
من طاقة الليل وروحانيته ما يُعين به نفسه على مشاق النهار ومتاعب الدعوة .ويرسم له المنهج:
ترتيل للقرآن، وقيام للعبادة، ليكون قلبه موصولا ً بالله، مستعدا لتحمل "القول الثقيل".

الأمر الثاني: الموضوع الأساسي والربط
الموضوع الأساسي لهذه الآيات هو "إعداد الداعية بالاتصال بالله" .أما الرابط بينها وبين ما سبق
)سورة الجن(، فهو بديع: إذا كانت سورة الجن قد عرضت لنا "استجابة المخلوقات" للقرآن، فإن سورة
المزمل تعرض لنا "استعداد الداعية" لتبليغ هذا القرآن .كأن الله يقول: "يا محمد، إذا كان الجن قد
آمنوا بمجرد الاستماع، فإن إيمان البشر يحتاج منك إلى صبرٍ ومجاهدةٍ ومناجاةٍ في الليل لتستعد

لحمل هذه الأمانة".

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية1) -(4

.1نداء النداء) يا أيها المزمل(: نداء المحب للمحب، يخرجه من حالة الراحة إلى حالة الجد.
.2برنامج التدريب) قم الليل إلا قليلا ً(: تحديد منهج عملي للتربية الروحية.
.3مرونة البرنامج) نصفه أو انقص منه قليلا ً أو زد عليه(: إدارة ذاتية وليست تعجيزاً.
.4منهجية التلاوة) ورتل القرآن ترتيلا ً(: ليس الهدف القراءة فقط، بل الترتيل الذي يغذي القلب.
.5الغاية من البرنامج) إنا سنلقي عليك قولا ً ثقيلا ً(: تبيان السبب؛ المهمة عظيمة، فليكن الزاد عظيماً.

الأمر الرابع: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

.1الهدف الأول: إيقاظ الهمة بعد فترة الانكسار
· الغرض: كان النبي ﷺ في حالة راحة وتغطي، فجاء النداء ليخرجه منها .الهدف هو تعليم الأمة أن لحظات الضعف البشري ليست نهاية الطريق، بل هي بداية لنهضة جديدة.
· المقصد: صناعة شخصية لا تستكين للراحة، بل تنهض عند أول نداء.
.2الهدف الثاني: ربط العبادة بالاستعداد للمسؤولية
· الغرض: لم يأمره الله بالقيام الليل لمجرد العبادة، بل تمهيداً ل- "قول ثقيل" .الهدف هو غرس وعي في المؤمن أن كل عبادة هي تدريب لحمل أمانة أكبر.
· المقصد: تحويل العبادة من طقس إلى طاقة إنتاجية وروحية.
.3الهدف الثالث: تأسيس منهجية التوازن) الوسطية (في التكليف
· الغرض: "إلا قليلا ً" ثم "انقص" ثم "زد" كلها مرونة .الهدف هو تحريم الغلو وإرهاق النفس، وتعليم الداعية أن الاستمرارية خير من الحماس المنقطع.
· المقصد: بناء أمة تعرف قدراتها ولا تخرج عن طورها.
.4الهدف الرابع: تعليم كيفية التعامل مع القرآن) فقه التلاوة(
· الغرض: "ورتل" .الهدف هو تحويل العلاقة مع القرآن من علاقة كم) ختم (إلى علاقة كيف) تدبر وتأثر.(
· المقصد: أن يكون القرآن مهيمناً على القلب، لا مجرد حروف على اللسان.
.5الهدف الخامس: تهيئة الداعية نفسياً لمواجهة الرفض والأذى
· الغرض: القول الثقيل يعني ثقل الأمانة، وثقل التبليغ، وثقل استجابة الناس .الهدف هو تجهيز النبي) ومن بعده كل داعية (نفسياً لمواجهة الصعاب.
· المقصد: ألا ينهار الداعية عندما يجد الإعراض، لأنه أخذ قوته من الليل.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآيات) سورة المزمل1 -(4

الآية الأولى:) يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(

النداء بوصف الحالة: لم يناده الله باسمه المجرد) يا محمد(، بل ناداه بحالته) المزمل - أي المتلفف بثيابه.(

لماذا جاء النداء بوصف الحالة؟ وهل هو خطاب للنبي فقط أم لجميع المؤمنين؟
الخطاب للنبي ﷺ بوصف الحالة هو خطاب لجميع المؤمنين، وهو خطاب لكل داعية .فالله ينادي سيد الخلق بهذه الصفة ليُفهم الأمة أن هذه الحالة) التلفف بالراحة (ليست دائمة، وأن هناك نهضة تنتظرهم.

اللفتات والرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· اللفتة النفسية: هذا نداء فيه حنان ومواساة؛ الله يعلم تعب نبيه وثقل ما يحمله، فيخاطبه بوصف حالته ليُشعره بالقرب، كأنه يقول: "أعلم أنك متعب، وأعلم أنك تريد الراحة، ولكن للحق عبء يحتاج إلى القيام".
· الرسالة التربوية للمؤمنين: توجيه الخطاب للنبي ﷺ بهذه الصفة ليشعر المؤمنين بضخامة المسألة و الغاية التي يرد التكليف بها بعدها، وهي حمل وتبليغ الدعوة.
· الرسالة النفسية: لفظة "المزمل" تهز مشاعر ووجدان السامع والداعية، فيحس بضخامة التكليف .كيف لا يكون ذلك، والخطاب موجّه للرسول ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله يأمره أن ينهض ويترك مظاهر الراحة من غطاء وثياب، وأن ينهض فقد مضى عهد النوم .فالدعوة تحتاج

إلى جهد وقوة ومشقة وشدة وتربية وإعداد وتهيئة للقلب والنفس بما يتناسب مع ضخامة التكليف، ليكون معدا لتحمل أعباء ومشقة الدعوة، فلا مكان للكسل.
· الرسالة الفكرية: الآية تبين للداعية أن الطريق ليس معبداً بالزهور والورود، فسوف تجد أشواكاً ومن يترصد لك في الطريق يحاول إعاقتك عن الوصول إلى الهدف .فلابد من إيمان ويقين صادق، وقدرات وطاقات قادرة على المواجهة ببصيرة وقوة تحمل وعزيمة وإرادة قوية.
· الرسالة العملية: الآية تغرس في النفس والعقل أهمية الغاية وما فيها من مشقة وأثقال ضخمة، لتهيئة من يحمل الدعوة بما يتناسب مع ذلك التضخيم الذي يصاحب حاملها من مشقة وأعباء، لتكون همه وشغله الشاغل الذي يشغل فكره هي الدعوة إلى الله .فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "مضى عهد النوم يا خديجة" .فصاحب الدعوة يحتاج إلى نشاط واهتمام وهمة عالية وإرادة قوية لمواجهة التحديات، وإيمان صادق بيقين، وفهم ودراية لحقيقة ما يدعو إليه مغروس في القلب، فكل حركة يتحركها وتوجه ونشاط وسلوك يكون مواجهاً لخدمة الدعوة، بحيث تصير كل حركة من حركاته تخدم تلك الفكرة والمعتقد.

الآية الثانية:) قمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(

لماذا الليل؟ لأن الليل هو وقت الخلوة، حيث تنقطع الضوضاء، وتهدأ النفوس، ويصفو الجو للمناجاة.
الاستثناء) إلا قليلا ً(: الله لا يريد إرهاق نبيه، بل يريد "التوازن" .هو تدريب على المجاهدة، لا على التعجيز.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: القيام بالليل يُشعر النفس بقيمتها، وأنها قادرة على ترويض رغباتها في النوم و الراحة، مما يبني ثقة داخلية عميقة.
· الرسالة التربوية: التربية الحقيقية تبدأ عندما يتعلم الإنسان أن يخالف هوى نفسه في لحظة ضعفها . الليل هو المدرسة التي تصقل الإرادة.
· الرسالة العقلية: الليل صفاء ذهني؛ فالعقل المدرب على القيام ليلا ً يكون أكثر قدرة على الفقه في الدين وفهم تعقيدات الدعوة.
· الرسالة العملية: ابدأ ولو بربع ساعة بعد منتصف الليل، واجعلها وقتاً خاصاً بينك وبين الله، بعيداً عن الهاتف والالتزامات.

الآية الثالثة:) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(

مرونة المنهج: الله يعطي النبي خيارات في تقدير وقت القيام .هذا التنوع يربي الداعية على "فقه النفس"؛ لا تشق على نفسك، بل خذ منها ما تستطيع الاستمرار عليه.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: لا داعي للشعور بالذنب إذا لم تصل إلى نصف الليل؛ المطلوب هو المواظبة وليس المقدار المطلق.
· الرسالة التربوية: الدين يسر، والمرونة هي أساس الاستمرارية .من يبدأ بالشدة ينقطع، ومن يبدأ بما يناسب طاقته يثبت.
· الرسالة العقلية: علمني الله أن أكون "مديراً لنفسي"، أخطط وأقدر وأختار الأنسب لحالتي.
· الرسالة العملية: قيّم طاقتك اليومية؛ في أيام النشاط "زد"، وفي أيام التعب "انقص"، ولكن لا تترك القيام أبداً.
الآية الرابعة:) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا(

ترتيل القرآن: ليس الترتيل هنا مجرد تجويد للحروف، بل هو "ترسّل في القراءة" يتيح للعقل أن يفهم ، وللقلب أن يتدبر.
السر العجيب: الترتيل هو الذي يجعل القرآن "يتغلغل" في أعماق النفس، فيصبح القارئ قادراً على مواجهة الثقل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: القراءة السريعة تلهي القلب، أما الترتيل فيسكن النفس ويمنحها طمأنينة لا توصف.
· الرسالة العقلية: الترتيل يعيد برمجة العقل على التأني والتدبر، فيخرج من فخ التسرع السطحي.
· الرسالة التربوية: تعلم أن الجودة في الفهم خير من الكمية في الحفظ .آية ترتلها وتفهمها خير من

جزء تمر عليه مروراً.
· الرسالة العملية: عند قراءة القرآن، اجعل قاعدة: "لا أتجاوز آية إلا إذا فهمتها وشعرت بها" .استخدم المصحف، وتوقف، وتفكر، وكرر.

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

.1تصوير حالة النبي ﷺ بـ "المزمل" يجسد مشهداً حياً: إنسان متعب يُلقي بنفسه تحت الغطاء، فجأة يأتيه النداء .هذا التصوير يخلق توتراً درامياً رائعاً بين الراحة والتكليف.
.2تصوير القيام كحركة انتقالية من الانطواء إلى الانتصاب، مما يرمز للنهضة من السكون إلى الحركة.
.3تصوير الليل كمساحة شاسعة يقسمها الله بأنصاف وأثلاث، ليبين أن الوقت بين يديك، فاستثمره.
.4تصوير الترتيل كفعل متكرر منتظم يشبه تنظيم اللآلئ في عقد، ليبين أن القرآن يحتاج إلى ترتيب وتأنٍ في القلب قبل اللسان.

أغراض هذا التصوير البياني:

· إثارة الانتباه والذهول من عظمة التحول) من النوم إلى القيام.(
· ترسيخ المعنى في النفس عبر المشهد الحي.
· جعل التكليف محبباً وليس مرهقاً.

رابعاً: الأبعاد البيانية والبلاغية والتربوية وكيفية تحويلها لمحرك سلوكي

أولاً: الأبعاد البيانية والبلاغية) هندسة التأثير(

.1عدول النداء) التشخيص البلاغي(:
· البعد: النداء بـ "المزمل" بدلاً من "يا محمد" هو بلاغة الالتفات إلى الحالة.
· السر البياني: هذا التصوير يكسر الجمود بين الخالق والمخلوق، ويجعل النداء يحمل "حنية" المربي الذي يدرك تعب المتربي، فيرتقي به من "ضعف البدايات" إلى "قوة المهمات".
.2التنظيم الرقمي) نصفه، انقص، زد(:
· البعد: استخدام الأعداد والنسب في سياق العبادة.
· السر البياني: هذا إعجاز في المنهجية .القرآن لا يفرض "قالباً صبياً"، بل يضع "قانوناً مرناً" . البيان هنا يُعلّم الداعية أن العبادة ليست "كماً" بل هي "توازن" يختلف بحسب طاقة كل إنسان.
.3إيقاع "الترتيل") الانسجام الصوتي(:
· البعد: كلمة "ترتيلاً" مصدر مؤكد، والترتيل لغةً يعني "اتساق الشيء وتنظيمه".
· السر البياني: القرآن يربط بين "الترتيل") الذي هو فعل لسان (وبين "الاستعداد للقول الثقيل")الذي هو فعل قلب وعقل .(هذا ربط بياني بين الأداة) اللسان (والغاية) الاستيعاب.(

ثانياً: الأبعاد التربوية) صناعة الشخصية(

.1تربية "المواجهة": الدعوة للقيام تعني أن المؤمن لا يجوز أن يظل "متلففاً" بأعذاره أو راحة نفسه . التربية هنا تقوم على النهوض من حالة السكون إلى حالة المبادرة.
.2تربية "الإدارة الذاتية": منح الخيارات في الآية الثالثة) نصفه، انقص، زد (يربي المؤمن على أن يكون "قائداً لنفسه"، يعرف طاقته، ولا يرهقها ولا يفرط في حقها، فالهدف هو الاستمرار وليس الحماس المؤقت.
.3تربية "الاستحقاق": ربط العبادة الليلية بـ "القول الثقيل" يعلمنا أن "الأدوار العظيمة في الحياة تستحق تضحيات عظيمة" .من لا يضحي براحته لنيل "المدد"، لن يستطيع حمل "الأمانة".

ثالثاً: التحويل إلى محرك سلوكي) من النظرية للتطبيق(

.1"مبدأ التلفف والاستيقاظ") الوعي الذاتي(:
· المحرك: عندما تشعر بالضيق أو "الانكماش" النفسي، توقف فوراً .هذا هو وقت "المزمل".
· السلوك: لا تحارب الضيق بالعمل المباشر، بل اسأل نفسك: "ما هو الدثار الذي يحجب عني رؤية الحق الآن؟" .اعترف بضعفك، ثم اتخذ قراراً "بالقيام" مهما كانت صغيرة.
.2"مبدأ الجدول المرن") إدارة الإنتاجية(:
· المحرك: لا تكن "آلة" تلتزم بنظام واحد يومياً.
· السلوك: صمم "جدول مرونة" ليومك .في أيام ذروة طاقتك، "زد" في الإنجاز والتعلم .وفي أيام إرهاقك، "انقص" لتستعيد توازنك.

3."مبدأ الترتيل الذهني") التعلم الواعي(:
· المحرك: لا تقرأ بسرعة التلقين.
· السلوك: طبق "الترتيل" في عملك .إذا كنت تقرأ تقريراً، ارتل كلماته) اقرأ ببطء، حلل المعنى .(المحرك السلوكي هو: التمهل قبل اتخاذ القرار.
4."مبدأ الاستعداد للثقل") الرؤية المستقبلية(:
· المحرك: كل مهمة صعبة تقوم بها هي "قول ثقيل".
· السلوك: اجعل "الخلوة" "شاحن البطارية" الخاص بك .لا تدخل في أي قرار مصيري إلا بعد أن تخصص وقتاً "للخلوة".

خامساً: أهم الدلالات من الآية وكيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي

أولا ً: دلالات تتجاوز اللفظ إلى العمق

1.دلالة "المزمل") الإنسان وراء القناع(:
· الدلالة العميقة: نحن جميعاً "مزملون" .كل منا يرتدي "دثاراً") دوراً اجتماعياً، قناعاً وظيفياً .(الآية تخاطب الإنسان خلف القناع، تخاطب الكيان البشري المجرد من الألقاب، لتخبرك أن قيمتك ليست في "رداء" نجاحك، بل في "حقيقتك".
2.دلالة "الليل") الليل كمساحة حرية، لا كزمن(:
· الدلالة العميقة: الليل هو "المساحة التي تخرج فيها من صخب العالم" .لا يمكنك أن تكون إنساناً حقيقياً إذا لم تكن تملك مساحة "ليلية" تنفصل فيها عن التبعية للناس.
3.دلالة "الترتيل") القراءة كعملية جراحية للقلب(:
· الدلالة العميقة: الترتيل هو "إبطاء الزمن" لتذوق الحقائق .إن حياتنا السريعة تجعلنا سطحيين؛ الترتيل هو ترياق السطحية.
4.دلالة "القول الثقيل") تكوين الشخصية لا مجرد نقل المعرفة(:
· الدلالة العميقة: القول الثقيل هو "الحقيقة التي تغير موازين حياتك" .أي رسالة تحملها ولا تشعر بثقل المسؤولية، فهي لم تنضج فيك.

ثانياً: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً) أسئلة المحرّك(

1.في مواجهة النداء: ما هو "الدثار" الذي أتلفف به لأهرب من مواجهة الحقيقة؟) الكسل؟ التبرير؟(
2.في مواجهة الفعل: ما الذي يمنعني من "القيام" في حياتي؟
3.في مواجهة المنهج: كيف أرتل "حياتي"؟ هل أعيش بتسرع أم بتأمل؟
4.في مواجهة الغاية: ما هو "القول الثقيل" الذي أنا مؤتمن عليه؟

ثالثاً: المعادلة السلوكية للآيات

)إدراك الضعف البشري + اختيار الانفصال عن الضجيج (× التأمل البطيء = (القدرة على تحمل الأمانات الكبرى.

سادساً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

· خاطرة "النداء في العتمة": أحياناً تأتي أقوى لحظات التغيير عندما نكون في أضعف حالاتنا . استشعر أن الله يراك حتى عندما تغطي رأسك باللحاف.
· خاطرة "نصف ساعة تغير العمر": لا تحتاج إلى قيام ليل كامل؛ نصف ساعة من الخشوع في جوف الليل قد تكون مفتاحاً لفتح مغاليق كانت عالقة في حياتك.
· خاطرة "الترتيل في الزحام": استفد من روح الترتيل في يومك المزدحم: خذ نفساً عميقاً، تمهل في كلامك، تدبر في ردك .ستجد فرقاً كبيراً.
· كيفية الاستفادة: اجعل لنفسك "دفتر خواطر" تكتب فيه كل يوم ما استشعرته أثناء قيامك وتلاوتك.

سابعاً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية في بناء أنفسنا

1.وقفة المحاسبة: كم ليلة مرّت بي وأنا "مزمل" في غطائي ولم أقم؟
2.وقفة النية: أحوّل نومي من مجرد راحة إلى نية التقوّي على الطاعة.
3.وقفة التدرج: أبدأ بآلية عملية: أضع المنبه قبل الفجر بـ 30 دقيقة، وألتزم بأسبوع كامل، ثم أزيد.
4.وقفة الجودة: أراجع تلاوتي لليوم: هل رتلت أم اجتزت؟
5.وقفة الأثر: أسأل نفسي: هل شعرت بفرق في صبري وقوتي خلال النهار بعد القيام؟

ثامناً: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الفردي: بناء شخصية المؤمن القوي روحياً، القادر على مجاهدة نفسه.
· البعد الأسري: القيام بالليل يمنح رب الأسرة صفاءً ينعكس على تعامله مع أهله، ويجعله قدوة.
· البعد الاجتماعي: الداعية المتهجد بالليل يكون أكثر حكمة وصبراً في مواجهة أذى الناس.
· البعد الحضاري: أي نهضة أمة تبدأ بقيام أفرادها في الليل، يستمدون القوة لبناء النهار.
· البعد التربوي: صناعة الأجيال تبدأ بتربية الآباء أنفسهم ليلاً.
· البعد النفسي: الليل علاج للقلق والاكتئاب، لأنه يعيد الاتصال بالمصدر الأول للأمان.

تاسعاً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآيات

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "الاستمداد الرباني": لا نجاح دون زاد روحي يومي.
.2مفهوم "القول الثقيل": الدعوة تحتاج قلباً قوياً والقلب القوي لا يكون إلا بالقيام.
.3مفهوم "الوسطية في العبادة": "إلا قليلا"، "انقص"، "زد"؛ العبادة مسار وليست حملة منقطعة.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· الوقت استثمار، والنوم موازنة.
· القرآن يُرتل، لا يُقرأ فقط.
· العبادة مرونة لا جمود.
· التكليف يسبقه تدريب.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: الأمن النفسي في الخلوة بالله، وتدريب النفس على مخالفة الهوى.
· الفكري: العظمة تحتاج تضحيات، والرسالة لها ثمن.
· التربوي: القدوة عملية) النبي ﷺ يتعب ويُؤمر بالقيام.(

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة

· منع الوقوف على "يا أيها المزمل": لأن المعنى لا يكتمل إلا بالنهضة .القائد لا يلبث في حالة انكماشه.
· وسائل التربية في الآيات) تفصيل كامل كما طلبت(:
· الوسيلة الأولى: ترك الكسل وتهيئة النفس والجسد للمهمة: الأمر بالنهوض من تحت الغطاء هو تدريب عملي على مقاومة دواعي الخمول .انت عند النوم وعليك الغطاء تكون في حالة خمول تريد المزيد من الراحة .فإذا رفعت الغطاء ونهضت قائماً بدل الاسترخاء، يأتيك النشاط ويذهب عنك الخمول .النداء "يا أيها المزمل" يغرس في القلوب ضخامة المسألة ويهز كيان المؤمنين، فتتحقق التهيئة لأنفسهم لمقاومة دوافع الكسل.
· الوسيلة الثانية: قيام الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار: ليله هو مصدر قوته وصفاء قلبه .قال تعالى: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ") السجدة:(16، والفعل "تتجافى" مضارع يدل على التكرار .وفي وصف المتقين: "كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ") الذاريات:17- .(18استخدام أداة التغيير بنسبة أو قسم) نصفه، انقص، زد (يشير إلى أن التربية والإعداد تتفاوت بقدر العزيمة و القدرة لدى المؤمنين.
· الوسيلة الثالثة: تلاوة القرآن ترتيلاً: الترتيل يجعله ذا أثر في القلب بالحصول على الفهم و التدبر والتأمل والتفكر وتأييد النفوس والاستعداد التام .من آداب القراءة: الطهارة، استقبال القبلة، الا ستعاذة، الإخلاص، استحضار المناجاة، الخشوع، تجنب أماكن اللعب والضجيج، النطق الصحيح، والتدبر.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآيات

· التنمية الحقيقية تبدأ بالتنمية الروحية.
· إدارة الذات وإنتاجية الوقت تبدأ من الليل.
· القائد الحقيقي هو من يدير طاقته لا من يستهلكها.
· النهضة تحتاج إلى تضحيات، وأولها التضحية بالنوم.

الأمر السادس: تحويل هذه المفاهيم إلى طاقة بناء

· اجعل لنفسك "مركز قيادة" في الليل: فيه تخطط ليومك، تراجعه، تستمد قيمك، تصلح نيتك.
· حوّل قيامك إلى برنامج أسبوعي: ليلة للدعاء، ليلة للتدبر، ليلة للتخطيط.
· علّم من حولك) أولادك، زملاءك (فكرة "الاستعداد بالليل" للنهار.

عاشراً: الدروس والعبر والتوجيهات المستنبطه من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أحب الله الذي يناديني في راحتي ليدفعني للمجد.
· المحرك العقلي: أدرك أن كل نومة أتركها لله ستعوضني بقوة مضاعفة.
· المحرك الإرادي: أتخذ قراراً اليوم بأن أقوم ولو لـ 10 دقائق.
· المحرك العملي: أضع خطة قابلة للتنفيذ، وأبدأ من الليلة.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا من "الراحة هدف" إلى "الراحة وسيلة لطاعة أكبر".
· تغير نظرتنا للوقت: الليل ليس فقط للنوم، بل للشحن الروحي.
· تغير نظرتنا للصعاب: ليست عقبات، بل اختبارات نستعد لها.
· تغير نظرتنا للعبادة: من طقس إلى نظام حياة متكامل.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.1درس: صناعة الخلوة
· العبرة: لا بد من مساحة خاصة مع الله بعيداً عن ضجيج العالم.
· التطبيق: اخلُ بنفسك ولو نصف ساعة قبل الفجر أو بعد العشاء.
.2درس: تجويد القراءة لا الإسراع فيها
· العبرة: الهمّ هو الفهم والتدبر، ليس ختم الصفحات.
· التطبيق: لا تهمك الكمية، اجعل هدفك أن تفهم آية واحدة بعمق كل يوم.
.3درس: الاستعداد للأحمال
· العبرة: كلما كبرت مسؤولياتك، احتجت إلى قيام ليل أكبر.
· التطبيق: قبل كل مهمة صعبة في حياتك) امتحان، اجتماع، قرار مصيري(، اجعل لها "شحناً ليلياً".
.4درس: المرونة في التكليف
· العبرة: الدين يسر، والإرهاق يقود للانقطاع.
· التطبيق: قيّم طاقتك يومياً، وكن مرناً في عبادتك، فالمواظبة على القليل خير من الانقطاع عن الكثير.

رسالة الختام

إن سورة المزمل هي "مدرسة الإعداد" .إذا كانت سورة الجن قد علمتنا كيف نؤمن، فالمزمل تعلمنا كيف نثبت وننهض .هذه الآيات الأربع ليست مجرد كلمات تُتلى، بل هي برنامج حياة، ومنهج بناء، وورشة عمل لصناعة الرجال والقادة والدعاة.

والآن، بعد هذا التفصيل الكامل، أسألك مرة أخرى: هل تجد في روتين يومك مساحة "للقيام" تستمد منها قوتك لمواجهة أعباء حياتك؟

اجعل "المزمل" عنواناً لحالك عندما تضع رأسك على الوسادة، واجعل "القيام" عنواناً لنهضتك، واجعل "الترتيل" عنواناً لتعاملك مع كلام الله وكلام الناس والحياة كلها .عندها فقط ستستطيع حمل "القول الثقيل" بثبات وبصيرة.

المبحث الثاني

تفسير الايات 5--7

أولا ً: نظرة عامة وتمهيدية للآيات5) - (7من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآيات
بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالقيام الليل وترتيل القرآن، يأتي الآن تبرير هذا الأمر وبيان سببه العميق . لم يعد الأمر مجرد تدريب، بل أصبح ضرورة وجودية .الآيات تخبر النبي ﷺ) ومن ورائه كل مؤمن (أن ما سيُلقى عليه من الوحي والأمانة والتكاليف ليس كلاماً عادياً، بل هو "قول ثقيل" يزن الجبال . وهذا الثقل يستلزم تهيئة خاصة .ثم تنتقل الآيات إلى وصف هذه التهيئة بأنها "ناشئة الليل") القيام في الليل(، لأن الليل هو وقت الخلوة الذي تكون فيه النفس أكثر حضوراً والقلب أشد إصغاءً، مما يجعل الداعية أقدر على حمل هذا الثقل في النهار.

الأمر الثاني: الموضوع الأساسي والربط
الموضوع الأساسي لهذه الآيات هو "بيان سبب التكليف بالقيام: ثقل الرسالة".
أما الرابط بينها وبين ما سبق) الآيات1 -(4:

· الآيات1) - (4أعطت المنهج) قم الليل، ورتل.(
· الآيات5) - (7تعطي السبب والدافع) إنا سنلقي عليك قولا ً ثقيلا ً، وإن ناشئة الليل هي الأشد وطئاً والأقوم قيلا ً.(
· كأن الله يقول: "لا تظن أن هذا القيام تدريب اختياري، بل هو حتمي لأن ما ستحمله عظيم، والليل هو البيئة المناسبة لاستقبال هذا العظم".

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية5) -(7

.1القادم العظيم) إنا سنلقي عليك قولا ً ثقيلا ً(: الإعلان المباشر عن طبيعة الرسالة؛ إنها ثقيلة، تحتاج إلى قلب قوي وجسد معتاد على السهر.
.2مواصفات الليل المبارك) إن ناشئة الليل(: تعريف "ناشئة الليل" بأنها القيام بعد النوم، وهي وقت خاص.
.3تفوق الليل على النهار) هي أشد وطئاً وأقوم قيلا ً(: بيان الحكمة من اختيار الليل؛ فيه يشتد تأثير العبادة على النفس، ويصح فيها القول والفهم.

الأمر الرابع: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

.1الهدف الأول: غرس الشعور بثقل المسؤولية في نفس الداعية
· الغرض: ألا يستخف النبي ﷺ أو المؤمن بالرسالة التي يحملها .الهدف هو بناء "وعي بالثقل" يمنع من التهاون أو الاستهتار.
· المقصد: تكوين شخصية تعرف أن العلم النافع والدعوة إلى الله ليسا "كلاماً يقال"، بل "قول ثقيل" يُحتاج فيه إلى تضحيات.
.2الهدف الثاني: تحويل القيام الليل من "عبادة اختيارية" إلى "ضرورة وجودية"
· الغرض: بعد أن قال له "قم الليل") أمر(، جاء الآن "إنا سنلقي" كتفسير .الهدف هو إزالة أي شعور بالتكلف، وجعل العبد يشعر أنه محتاج إلى هذا القيام، وليس الله محتاجاً إليه.
· المقصد: أن ينهض المؤمن ليلا ً ليس خوفاً من العقاب فقط، بل لأن لديه "قولا ً ثقيلا ً" يحتاج إلى شحن.
.3الهدف الثالث: توجيه الداعية إلى أفضل بيئة للاستعداد) الليل(
· الغرض: "إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً" .الهدف هو توجيه طاقة الإنسان إلى الوقت الأكثر إنتاجية روحياً.
· المقصد: تعليم الأمة أن إدارة الوقت لا تعني فقط "الانشغال"، بل تعني أيضاً اختيار "الزمن الأ نسب" للنشاط الأهم.
.4الهدف الرابع: ربط الجانب الروحي بالجانب العملي) أشد وطئاً وأقوم قيلا ً(
· الغرض: الليل يشتد فيه تأثير العبادة على البدن) الوطء: الثقل والشدة(، وفي نفس الوقت يكون القول فيه أكثر استقامة وفهماً.
· المقصد: إلغاء الفصل المزعوم بين "الروح" و"الجسد" في التربية؛ فالجسد يتعب) أشد وطئاً (و الروح تنضبط) أقوم قيلا ً(، وكلاهما يصنع الرجال.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآيات) سورة المزمل5 -(7

الآية الخامسة:) إنّا سَنُلقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(

التفسير اللغوي والبياني:

· "سَنُلْقِي": فعل مستقبل يدل على الاستمرار والتكرار .الإلقاء يحمل معنى الدفع بالقوة، كما يُلقى الحمل على الظهر.
· "قَوْلًا ثَقِيلًا": الوحي، والتكاليف، وأعباء النبوة، والمسؤولية العظيمة.

لماذا وصف القول بالثقيل؟ وهل هو ثقيل على النبي فقط أم على أمة الإسلام؟
الثقل هنا له عدة أوجه:

.1ثقله في ذاته: لأنه كلام رب العالمين، ليس ككلام البشر.
.2ثقله على النبي ﷺ: كان ينزل عليه الوحي في يوم شديد البرد فيعرق، أو ترتجف أوصاله، أو يثقل عليه جسده حتى يغط برأسه.
.3ثقله في العمل به: لأنه يتطلب تغييراً جذرياً في حياة الفرد والمجتمع.
.4ثقله على الأمة: الأمة مؤتمنة على هذا القول، فالعمل به والتبليغ عنه ثقيل أيضاً.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: تخفيف عن النبي ﷺ بأن الله يعلم أن ما يحمله ثقيل، فليس هو مبالغاً في الشعور بالتعب، بل هذا هو واقع الرسالة .هذه المعرفة تريح النفس من لوم الذات.
· الرسالة التربوية: أي رسالة عظيمة في الحياة) أبوة، أمومة، دعوة، علم، قيادة (هي "قول ثقيل" .من لم يشعر بثقل مسؤوليته، فهو لم يفهم حقيقتها بعد.
· الرسالة الفكرية: لا توجد "نبوة بلا ثقل"، ولا "قيادة بلا تضحيات" .الفكرة التي لا تؤلمك في حملها، لن تؤثر في غيرك.
· الرسالة العملية: قبل أن تتحمل أي مسؤولية كبرى، اسأل نفسك: "هل أنا مستعد لثقل هذا القول؟ هل أخذت زادي من الليل؟"

الآية السادسة:) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا(

التفسير اللغوي والبياني:

· "نَاشِئَةَ اللَّيْلِ": القيام بعد النوم .أو أول ساعات الليل، أو وقت العبادة فيه .والناشئة من الشيء: ما حدث بعد شيء آخر.
· "أَشَدُّ وَطْئًا": الوطء: الثقل والمشقة على البدن .أي أن القيام في الليل أثقل على الجسد وأشق من قيام النهار.
· "أَقْوَمُ قِيلًا": أي أقوم للقول، وأصوب وأحضر في الفهم والحفظ والتدبر .أي أن القراءة في الليل تكون أكثر استقامة وتركيزاً.

سر تقديم "أشد وطئاً" على "أقوم قيلا ً":
لأن المشقة) الوطء (هي المقدمة، ثم تأتي النتيجة) القول المستقيم .(فمن تحمل ثقل الليل، جنت ثمرة صفاء الفهم والقول .التربية تبدأ بالجهد، وتنتهي بالإتقان.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: الليل يكسر حدة "إدمان الراحة" .من يعود نفسه على المشقة في الليل، تصبح مشقة النهار أهون عليه.
· الرسالة التربوية: هذه الآية منهج في التربية: "لا ثمرة بلا تعب" .أي قول مستقيم) نقاء فكري أو إنجاز عملي (يحتاج إلى وطء شديد) جهد ليلي.(
· الرسالة العقلية: العقل في الليل يكون أكثر صفاءً من ضجيج النهار .إذا أردت أن تتعلم، أو تحل مشكلة، أو تتخذ قراراً، ففكر في ليلك، وليس في نهارك المزدحم.
· الرسالة العملية: خصص جزءاً من قيامك لقراءة القرآن بتدبر) أقوم قيلا ً(، وجزءاً آخر للدعاء بقلب حاضر) لأن الوطء صار مألوفاً.(

الآية السابعة:) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا(

التفسير اللغوي والبياني:

· "سَبْحًا": من السبح، وهو التردد في الماء .استعير للانشغال والتردد في قضاء الحاجات والانصراف في العمل والعبادة .يعني تقلباً وانتشاراً وحركة مستمرة.

· "طويلًا": طويلا ً ممتداً، كثير الشواغل.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: تطمين للنفس: لا تقلق بشأن النهار، النهار خلق لهذا السبح والحركة .فلا تنتظر الراحة في النهار، بل اجعل الليل هو راحتك الروحية.
· الرسالة التربوية: التكامل بين الليل والنهار .الليل للشحن والتربية) الوطء والقيل المستقيم(، والنهار للحركة والعمل) السبح الطويل .(هذا هو المنهج الرباني للإنتاجية.
· الرسالة العقلية: لا تعذب نفسك بالكسل في النهار .النهار ميدان عمل وليس للنوم الطويل .من نام نهاره وكسل، ضاع عليه سبحه.
· الرسالة العملية: نظم يومك بحيث لا يكون نوم النهار على حساب قيام الليل .خذ قيلولة قصيرة إن احتجت، لكن لا تجعل النهار كله نسيماً وراحة.

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

.1تصوير إلقاء القول الثقيل: كأنه حمل يوزن على الظهر .هذا التصوير يجعل القارئ "يحس" بالثقل لا يسمع عنه فقط.
.2تصوير "ناشئة الليل" كشيء يولد) ناشئة(: الليل يلد في الإنسان حالة جديدة من الخشوع والتركيز . وكأن العابد يولد من جديد في رحم العتمة.
.3تصوير "الوطء" و"القيل": الليل يقف على قدمين: تعب الجسد) وطء (واستقامة اللفظ) قيل .(صورة الجندي الذي يثبت على أرض المعركة ليطلق سهمه صائباً.
.4تصوير النهار بـ "السبح الطويل" : النهار كبحر يسبح فيه الإنسان بلا توقف، موجة بعد موجة من الأعمال والمشاغل.

أغراض هذا التصوير البياني:

· تحويل المعاني المجردة) ثقل الوحي (إلى مشاعر محسوسة.
· ترغيب المؤمن بالليل عبر وصف خصائصه الفريدة.
· إقامة موازنة بيانية جميلة بين الليل) الوطء والقيل (والنهار) السبح.(

رابعاً: الأبعاد البيانية والبلاغية والتربوية وكيفية تحويلها لمحرك سلوكي

أولا ً: الأبعاد البيانية والبلاغية

.1بناء السببية) إنا سنلقي ...إن ناشئة الليل(:
· البعد: الآية الخامسة هي السبب، والآية السادسة هي النتيجة .لماذا تقوم؟ لأن القول ثقيل . وكيف تقوم؟ الليل أشد وطئاً وأقوم قيلا ً.
· السر البلاغي: التربية القرآنية لا تأمر بشيء إلا وتعلله .هذا يقنع العقل قبل أن يحرك الجوارح.
.2المقابلة بين الليل والنهار:
· البعد: الموازنة بين "ناشئة الليل" و"سبح النهار".
· السر البلاغي: يُظهر النظام الكوني المتكامل .ليس الأمر هروباً من النهار، بل إعداداً له.
.3حرف التأكيد) إن (المتكرر:
· البعد: في الآية السادسة والسابعة: "إن ناشئة الليل..."، "إن لك في النهار...".
· السر البلاغي: إثبات الحقيقة وتأكيدها في النفس .كأن الله يقول: "هذه حقائق لا مراء فيها، فتمسك بها".

ثانياً: الأبعاد التربوية

.1تربية "تحمل الثقل": لا ينمو الإنسان إلا بالأحمال الثقيلة .الآيات تربي المؤمن على أن يطلب الثقل، لا أن يهرب منه.
.2تربية "اختيار الوقت المناسب": العمل في الوقت المناسب أنفع من العمل في أي وقت .الليل للتحصين، النهار للحركة.
.3تربية "التكامل بين الجهد والنتيجة" : أشد وطئاً) جهد = (أقوم قيلا ً) نتيجة .(لا تفصل بين التعب والعطاء.

ثالثاً: التحويل إلى محرك سلوكي

.1مبدأ "استشعار الثقل") الوعي بالمسؤولية(:
· المحرك: قبل كل مهمة كبيرة، كرر في نفسك: "إنا سنلقي عليك قولا ً ثقيلا ً".
· السلوك: اكتب مسؤولياتك الحالية على ورقة، واكتب بجانب كل واحدة "ثقيل" .هذا يرفع من جديتك ويحميك من التهاون.
.2مبدأ "الاستثمار في الليل") إدارة الطاقة(:
· المحرك: الليل هو زمن "الوطء") إدخال الطاقة (و"القول المستقيم") تصفية الذهن.(
· السلوك: اجعل أول نصف ساعة بعد العشاء مباشرة) أو قبل الفجر (وقتاً للقراءة المركزة أو حل المشكلات الصعبة .جرب وستجد الفرق.
.3مبدأ "النظام اليومي المتكامل") النهار للسبح(:
· المحرك: لا تخلط بين الليل والنهار .النهار خلق للحركة، لا للنوم الطويل والكسل.
· السلوك: خطط ليومك بحيث يكون مليئاً بالأنشطة والسبح) العمل، التعلم، التواصل(، ولا تجعل فيه فجوات كبيرة للفراغ، حتى إذا جاء الليل تنام مطمئناً.

خامساً: أهم الدلالات من الآية وكيف نفهم الآية فهماً عميقاً

أولا ً: دلالات تتجاوز اللفظ إلى العمق

.1دلالة "القول الثقيل") الأمانة التي لا ترى(:
· الدلالة العميقة: كل إنسان لديه "قول ثقيل" في حياته: الأمانة في وظيفته، تربية أولاده، العلم الذي يحمله .الآية تعيد تعريف "الثقل" ليس كعبء مؤلم، بل كدليل على عظمة ما تحمل.
.2دلالة "ناشئة الليل") ولادة جديدة كل ليلة(:
· الدلالة العميقة: كل ليلة هي فرصة لتوليد "ذات جديدة" .الذي لا يتغير في ليله، لا يتغير في نهاره .الناشئة تعني "البداية"، فاجعل ليلك بداية تغييرك.
.3دلالة "أشد وطئاً") الطريق إلى الإتقان(:
· الدلالة العميقة: الإتقان له ثمن، وهذا الثمن هو الوطء) الشدة على النفس .(أي مهارة أو فضيلة تريدها، ادفع ثمنها من راحتك.

ثانياً: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً) أسئلة المحرك(

.1في مواجهة "قول ثقيل": ما هو "القول الثقيل" الذي أريد حمله في مرحلتي الحالية؟) شهادة، مشروع، علاقة، توبة(...
.2في مواجهة "ناشئة الليل": هل عندي ليلة خاصة أعيش فيها "الولادة" أم أن كل ليالي متشابهة في الغفلة؟
.3في مواجهة "أشد وطئاً": ما هو أثقل تحدٍ أمارسه بانتظام لأصل إلى "القول المستقيم" في مجالي ؟
.4في مواجهة "سبح النهار": هل نهاري "سبح طويل" ممتلئ بالحركة النافعة، أم هو "ركود طويل" أقتل فيه الوقت؟

ثالثاً: المعادلة السلوكية للآيات

)استشعار ثقل الرسالة + استثمار طاقة الليل) = (جهد مُشَقٍ في الليل + صفاء ذهني = (نهاري مليء بـ السبح والإنجاز

سادساً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

· خاطرة "الثقل شرف لا عبء": لا تشعر بالضيق عندما تجد مسؤولياتك ثقيلة .هذا يعني أنك تحمل شيئاً ذا قيمة .الجبال تحمل صخوراً ثقيلة، والنملة تحمل حبة ثقيلة نسبةً لحجمها .ثقل رسالتك دليل على قدرك.
· خاطرة "الليل كالسجن الذي يحرر": الليل يسجن الجسد ليجعله ينفصل عن الأرض، فيتحرر القلب للسماء .استشعر أن انقطاعك عن الناس في ليلك هو أعلى درجات الحرية.
· خاطرة "النهار كالنهر الجاري": لا تحاول أن توقف النهر، بل تعلم كيف تسبح فيه .النهار خلق للحركة والتدافع، فلا تلومن نفسك على الانشغال، ولكن انتبه أن تكون حركتك في طاعة الله.

كيفية الاستفادة العملية:

· اربط "القول الثقيل" في حياتك) مثل حفظ القرآن، أو إنهاء مشروع (بـ "ناشئة الليل" .قل: "هذا القول الثقيل لن أحققه إلا ببركة قيام الليل".
· اكتب في مذكرتك: "اليوم لدي سبح طويل، فبالأمس كان لي وطء شديد في الليل".

سابعاً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية في بناء أنفسنا

.1وقفة "ميزان الثقل": قيّم مسؤولياتك الحالية .أيها ثقيلة حقاً؟ هل تستعد لها بقيام الليل أم أنك تتعامل مع الثقيل كأنه خفيف؟
.2وقفة "الليل بيئة لا وقت": لا تنظر لليل كساعات فقط، بل كحالة نفسية .حوّل غرفتك في الليل إلى "ملاذ عبادة" بإطفاء الأنوار والتخلص من المشتتات.
.3وقفة "النهار سبح لا سباحة عكسية": خطط لنهارك بوعي .إذا كان السبح طولا ً، فاجعله في الخير .خريطة لحركتك النهارية: من أين تبدأ؟ أين تنتهي؟
.4وقفة "تحدي الوطء": اختر شيئاً واحداً في حياتك كنت تتجنبه لأنه شاق، واجعل قيام ليلك هو جسر عبور لفعله) مثل الاستيقاظ باكراً، المراجعة الجيدة، مواجهة مشكلة.(

ثامناً: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الوجودي: الجمع بين "الثقل" و"الإلقاء" يعني أن الله هو من يضع الأثقال على من يحب، ليجعلهم أقوياء .الأمانة الثقيلة هي علامة الاصطفاء.
· البعد النفسي: الليل يعالج "فقدان التركيز" و"تشتت الانتباه" اللذين يعاني منهما عصر الضجيج ."أقوم قيلا ً" هي وصفة لعودة الحضور الذهني.
· البعد الحضاري: قوله "إن لك في النهار سبحاً طويلا ً" يعلم الأمة "ألا تكره العمل"، وأن الانشغال في الدنيا بالحركة والإنتاج هو سنة كونية، وليس عيباً.
· البعد التربوي للأبناء: علم أولادك أن الليل ليس للنوم فقط، بل فيه "ناشئة") قيام(، والنهار ليس للهو فقط، بل فيه "سبح") جد واجتهاد.(

تاسعاً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآيات

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "ثقل الرسالة": لا نجاح بلا ثقل، ولا تأثير بلا تضحية.
.2مفهوم "ناشئة الليل" كولادة روحية: كل ليلة فرصة للانبعاث من جديد.
.3مفهوم "السبح الطويل" كقيمة للنشاط النهاري: لا ازدراء للعمل والحركة في الدنيا.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· الليل للعمق والإتقان، والنهار للانتشار والعطاء.
· "أشد وطئاً" تعني أن الأشياء الثمينة تحتاج جهداً.
· "أقوم قيلا ً" تعني أن البيئة) الليل (تؤثر على جودة المخرجات) الفهم والقول.(

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: الصفاء الذهني يتحقق بالانعزال المؤقت) الليل.(
· الفكري: العظمة تقترن بالثقل، فلا تطلب سهولة إذا أردت تأثيراً.
· التربوي: القدوة في تحمل الثقل) النبي ﷺ كان يتعب ويتعرق من الوحي.(

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة(

· القائد لا يطلب الراحة: الآيات تربي القائد على أن طريقه مليء بالقول الثقيل، وأن ليله هو معسكره التدريبي.
· الليل هو أكاديمية القادة: في الليل يتدرب القائد على "الوطء") تحمل المشقة (و"القول المستقيم")وضوح الرؤية والكلمة.(
· النهار هو ساحة العمل: من أخطأ في فهم الآية ظن أن "السبح الطويل" عذر للكسل .بل هو عذر للحركة المتواصلة، فالقائد بعد زاده الليلي ينطلق كالسهم في النهار.
· التكامل بين "الثقل" و"الناشئة" و"السبح": معادلة بناء القائد:) الثقل (حافز،) ناشئة الليل (وسيلة،) سبح النهار (غاية.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآيات

· التنمية الذاتية: تبدأ باختيار الوقت الأنسب للتعلم والتطوير) الليل أقوم قيلا ً.(
· التنمية الإنتاجية: النهار للتنفيذ، الليل للتخطيط والتصفية.
· التنمية الروحية: الليل يزود النفس بطاقة تعوض ما تفقده في زحام النهار.

الأمر السادس: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء

· حوّل "القول الثقيل" إلى مشروع حياة: حدد هدفاً ثقيلا ً) مثل إتقان سورة أو مجال علمي (واربطه بالقيام الليلي.
· حوّل "ناشئة الليل" إلى روتين: "ساعة البركة" في الليل، تجدد فيها نياتك، تراجع حساباتك.
· حوّل "السبح الطويل" إلى خطة عمل: لا تدع نهارك يمر بدون إنجازات ملموسة.

عاشراً: الدروس والعبر والتوجيهات المستنبطه من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أحب الله الذي يعدني للعظمة من خلال إخباري بثقل ما سأحمله.
· المحرك العقلي: أدرك أنه لا طعم للإنجاز بدون تعب ."الوطء" هو الذي يعطي قيمة للقيل.
· المحرك الإرادي: أتعهد اليوم بأن أخصص جزءاً من ليلي للصلاة وتدبر القرآن، مهما كان قصيراً.
· المحرك العملي: أضع خطة لاستغلال "السبح الطويل" في النهار، وألا أضيع دقيقة في غير فائدة.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا للصعاب: من عقبات إلى علامات على عظمة ما نحمله.
· تغير نظرتنا لليل: من وقت نوم فقط إلى وقت "ولادة روحية" واستعداد للمهمات.
· تغير نظرتنا للنهار: من وقت ضائع أو متعب إلى "سبح طويل" أي حركة مباركة لا تنتهي.
· تغير نظرتنا للجهد: لم نعد نرى التعب شقاء، بل نراه "وطئاً" يورث "قيلا ً مستقيماً".

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.1درس: ثمن العظمة هو الثقل
· العبرة: أي إنجاز عظيم في حياتك، سيكون له ثمن .لا تنتظر النجاح بلا تضحيات.
· التطبيق: اكتب قائمة "الأثمان" التي تدفعها حالياً من أجل أهدافك .هل هي كافية؟ هل فيها "وطء" ليلي؟
.2درس: البيئة تؤثر على جودة المخرجات
· العبرة: الليل بيئة متفوقة للتركيز والإتقان) "أقوم قيلا ً".(
· التطبيق: جرب أن تؤجل أهم مهامك العقلية) دراسة، كتابة، حل مشكلات (إلى الليل، وستلاحظ الفرق.
.3درس: قانون التكامل الليل/النهار
· العبرة: لا تنتج العبادة في الليل إذا لم تتحرك في النهار، ولا تتحرك في النهار بدون شحن ليلي.
· التطبيق: أنهِ نهارك بمراجعة: كم "سبحت" اليوم؟) كم أنجزت(، وابدأ ليلك بنية: سأستعد للغد بـ "ناشئة الليل".
.4درس: لا تكره النهار
· العبرة: النهار ليس عائقاً، بل هو ميدانك الطبيعي للحركة.
· التطبيق: إذا شعرت بضيق من طول النهار وكثرة المهام، اقرأ الآية وتذكر: "إن لك في النهار سبحاً طويلا ً"، فهو خلق لك، فاستغله.

رسالة الختام

صديقي، هذه الآيات5) - (7تنقلك من مرحلة "أن تفعل" إلى مرحلة "أن تعرف لماذا تفعل" .لقد عرفت من الآيات الأولى1) - (4ماذا تفعل) قم الليل ورتل(، والآن عرفت لماذا) لأن القول ثقيل، والليل أشد وطئاً وأقوم قيلا ً، والنهار للسبح الطويل.(

هذا هو الفرق بين العبد العادي والعبد المجتهد:

· العبد العادي يقوم الليل لأنه أمر إلهي.
· العبد المجتهد يقوم الليل لأنه عرف سر الأمر: شحن نفسه لمواجهة أثقال الحياة.

والآن، بعد أن عرفت سر "ناشئة الليل"، وعلاقتها بـ "القول الثقيل" و"السبح الطويل"، هل ستغير في روتينك الليلي شيئاً من الليلة؟

اجعل "ناشئة الليل" عنواناً لنهضتك قبل أن يبدأ النهار، واجعل "السبح الطويل" عنواناً لجهادك في النهار، واعلم أن الطريق إلى حمل "القول الثقيل" يمر بالليل، فمن نام عن ليله ضاع عليه قوله في نهاره.

المبحث الثالث

تفسير الآيات (8-10).

أولاً: نظرة عامة وتمهيدية للآيات (8-10) من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآيات

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالقيام الليل وترتيل القرآن، وأخبره أن ما سيحمله من وحي هو "قول ثقيل" يتطلب هذه التهيئة الليلية، يأتي الآن الانتقال من مرحلة "الاستعداد" إلى مرحلة "العمل" و "المواجهة". الآيات تقدم وصفة روحية وعملية للداعية بعد أن تزود بزاده الليلي. يأمره الله بأمرين متلازمين: (1) التوجه الكامل لله بالعبادة والذكر (واذكر اسم ربك)، و(2) القطيعة الروحية عمن يعرض عن الحق (وتولهم). ثم تختتم بتعليمه كيف يواجه الأذى والافتراءات: بالصبر الجميل الجميل الذي لا شكوى فيه إلا لله. كأن الله يقول: "بعد أن شحنت نفسك في الليل، اخرج إلى النهار متوكلاً عليّ، متفرغاً لي، معرضاً عن المعرضين، صابراً على أذاهم".

الأمر الثاني: الموضوع الأساسي والربط

الموضوع الأساسي لهذه الآيات هو "منهجية الداعية بعد الاستعداد: التفرغ لله، والإعراض عن المكذبين، والصبر الجميل".

أما الرابط بينها وبين ما سبق (الآيات 5-7):

· الآيات (5-7) ذكرت السبب والبيئة (القول الثقيل، ناشئة الليل).
· الآيات (8-10) تذكر النتيجة والسلوك العملي بعد التهيئة (ذكر الله، التولي عن المشركين، الصبر على أذاهم).
· كأن الله يقول: "خذ قوتك من الليل، ثم انطلق إلى النهار لتفعل كذا وكذا".

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية (8-10)

1. التوجه لله بالعبادة) واذكر اسم ربك(: الاستمرار على ذكر الله وتفرغ القلب له.
2. القطيعة القلبية عن المشركين) وتولهم(: لا تلتفت إليهم ولا تشغل بهم بالك.
3. التجرد والانقطاع لله) وتبتل إليه تبتيلاً(: أعلى درجات الإخلاص والانقطاع لله.
4. كيفية التعامل مع الأذى) واصبر على ما يقولون(: مواجهة الافتراءات والإيذاء بالصبر الجميل.

الأمر الرابع: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

1. الهدف الأول: تحديد العلاقة مع الله بعد الاستعداد الليلي
· الغرض: القيام الليل لم يكن غاية في ذاته، بل وسيلة لتحقيق "ذكر الله" و"التبتل" في النهار. الهدف هو استمرارية الاتصال بالله، بحيث لا ينقطع الداعية عن ربه عندما يخرج للدنيا.
· المقصد: صناعة عبد يذكر الله في الليل والنهار، لا يفتر لسانه عن ربه.
2. الهدف الثاني: تحرير الداعية من الخوف من الناس
· الغرض: "وتولهم" أمر بالقطيعة العملية والقلبية عن المشركين الذين لا يريدون الحق. الهدف هو تحرير قلب الداعية من التعلق بردود فعل الناس أو خوفهم أو رجائهم.
· المقصد: ألا يصبح همّ الداعية "ماذا سيقولون"، بل أن يكون همه هو "ماذا يريد الله".
3. الهدف الثالث: غرس قيمة "التبتل") الإخلاص الكامل(
· الغرض: "وتبتل إليه تبتيلاً" هي دعوة للتجرد الكامل لله، كأن ينقطع العبد عن كل شيء ويتعلق بالله وحده.
· المقصد: الوصول إلى مقام "لا إله إلا الله" عملياً، بأن يكون الله هو محور التفكير والتحريك

الوحيد.
.4الهدف الرابع: توفير آلية نفسية لمواجهة الإيذاء
· الغرض: "واصبر على ما يقولون". الهدف هو تحويل الأذى اللفظي (السخرية، الاتهامات، الافتراءات) إلى مادة للارتقاء الروحي، وليس للانهيار النفسي.
· المقصد: أن يتعلم الداعية ألا يتفاعل مع كل قول يقال عنه، بل يصبر ويتجاوز، لأنه يعلم أن هذه طبيعة الطريق.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآيات (سورة المزمل 8-10)

الآية الثامنة: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ": أي أكثر من ذكره وتلاوته ودعائه. ذكر الاسم يدل على استحضار الذات الإلهية. و "ربك" إضافة تشريف وتقريب.
· "وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا": التبتل: الانقطاع والتجرد والإقبال على الله بكلية القلب. وهو مبالغة من "بتل" أي قطع. والتبتيل مصدر مؤكد يدل على المبالغة في هذا الانقطاع.

لماذا قدم "ذكر الاسم" على "التبتل"؟
لأن الذكر هو البداية، والتبتل هو النتيجة. فمن أكثر من ذكر الله، انقطع قلبه إليه وتجرد له. الذكر يفتح باب التبتل.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: ذكر الله يريح النفس ويمنحها أمناً، والتبتل يعطيها شعوراً بالاتصال الدائم بمصدر القوة. من تبتل إلى الله لم يعد بحاجة إلى تبتل إلى الناس (أي التعلق بهم).
· الرسالة التربوية: التربية الربانية تنتقل بالعبد من "المجاهدة في الليل" إلى "الذكر الدائم في النهار". هذه هي مرحلة الاستقامة بعد مرحلة النهضة.
· الرسالة الفكرية: "ربك" وليس "إلهك" فقط؛ فالتربية على معرفة "الربوبية" (التربية والرعاية) هي أساس الانقطاع لله. تعلم أن الله هو الذي يربيك ويرعاك، فلا حاجة لأن تربط رجاءك بغيره.
· الرسالة العملية: اجعل للسانك ورداً من الذكر لا يقطعه إلا نوم أو ضرورة. واجعل للقلب "تبتلاً" أي ساعة من الانقطاع التام لله يومياً، بلا هاتف ولا مشتتات.

الآية التاسعة: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ": هو مالك كل شيء وخالقه ومدبره، فالمشارق والمغارب (جمع) تشمل جميع جهات الأرض وكل نجومها. هو وحده المتصرف في الكون.
· "لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ": تأكيد للتوحيد ونفي كل معبود سواه.
· "فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا": اتخذه مفوضاً إليه أمرك، ومتولياً لحاجاتك، وحافظاً وناصراً لك.

لماذا ذكر "رب المشرق والمغرب" قبل "لا إله إلا هو"؟
لأن رؤية عظمة الخلق (المشرق والمغرب) تقود إلى التوحيد (لا إله إلا هو). ثم التوحيد يقود إلى التوكل (فاتخذه وكيلاً). التسلسل منطقي: قدرة ← إلهية ← تفويض.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: من يعلم أن الله رب كل شيء، فلا يخاف شيئاً. معرفة أن الله هو المدبر الوحيد للكون تمنح النفس طمأنينة لا حدود لها.
· الرسالة التربوية: بعد الأمر بالتبتل (الانقطاع لله)، يأتي الدليل العقلي على استحقاق الله لهذا الانقطاع: هو رب المشرق والمغرب، وهو الإله الوحيد، فكيف تعلق قلبك بغيره؟
· الرسالة الفكرية: هذه الآية تربي الداعية على "التوحيد العملي" وليس النظري. التوحيد الحقيقي هو أن تتخذ الله وكيلاً في كل أمورك، وأن تفوض إليه أمرك كله.
· الرسالة العملية: قبل أي خطوة دعوية أو عملية، ذكر نفسك: "الله رب المشرق والمغرب، وهو وكيلي،

فلماذا أخاف؟ لماذا أتوكل على غيره؟"

الآية العاشرة: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ": أي اصبر على أذاهم اللفظي، وما يرمونك به من اتهامات (ساحر، مجنون، كذاب).
· "وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا": الهجر الجميل هو الإعراض عنهم بلا أذى، ولا مقاطعة عنيفة، بل ترك للجدال والعقاب، والتسامح والصفح.

ما معنى "هجراً جميلا ً" في هذا السياق؟
هجراً لا عنف فيه ولا سباب ولا انتقام، بل فيه كرامة وعزة، مع البعد عنهم وعدم الاكتراث بأقوالهم. هو الهجر الذي لا يقطع رحمة الدعوة، ولكنه يقطع تأثيرهم على قلب الداعية.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: الأذى اللفظي من أشد أنواع الأذى لأنه يجرح الكرامة. الآية تعلم الداعية ألا يرد الإ ساءة بإساءة، بل يصبر، لأن الصبر هنا هو انتصار النفس على الغريزة.
· الرسالة التربوية: هذا هو "التطبيق العملي للتوكل". بعد أن اتخذ الله وكيلا ً، أصبح قادراً على الصبر على أذاهم وهجرهم بلا ألم نفسي.
· الرسالة العقلية: العقل الرشيد يعرف أن الرد على كل من يسيء إليك يضيع وقتك وجهدك. الهجر الجميل هو استثمار للطاقة في الأهم، وليس في الانشغال بالردود العقيمة.
· الرسالة العملية: إذا سمعت كلاماً جارحاً من زميل أو قريب أو أي شخص، تذكر هذه الآية: "واصبر على ما يقولون". لا ترد فوراً، بل اصبر، ثم اهجر الرد أو المقاطعة العنيفة، واختر هجراً جميلا ً (تجاوزاً بلا حقد).

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

.1تصوير "التبتل" كفعل انقطاع كامل: "تبتيلا ً" مصدر مؤكد، كأن العبد يُقطع عن كل شيء ويتجه لله وحده .صورة الحبل المقطوع من كل جهة إلا جهة الله.
.2تصوير الله بـ "رب المشرق والمغرب": صورة كونية هائلة، المشرق والمغرب طرفا الكون الظاهر، فكيف بمن يملك ما بينهما وما وراءهما؟ هذا التصوير يضع الداعية أمام عظمة خالقه.
.3تصوير "الهجر الجميل" كشيء راقي: "جميلا ً" صفة تضفي جمالية على فعل الهجر .وكأن الهجر يمكن أن يكون جميلا ً إذا صدر عن كرامة وعفة وتجاوز.
.4تدرج بلاغي من الذكر إلى التبتل إلى التوكل إلى الصبر: وكأنه سلم روحي يرقى به الداعية خطوة خطوة.

أغراض هذا التصوير البياني:

· ترسيخ عظمة الله في قلب الداعية قبل أن يواجه الخلق.
· تحويل الأوامر المجردة (اذكر، تبتل، اصبر) إلى حالات يشعر بها القلب.
· تقديم نموذج جمالي للتعامل مع المعرضين (الهجر الجميل) بدلا ً من القبح والانفعال.
رابعاً: الأبعاد البيانية والبلاغية والتربوية وكيفية تحويلها لمحرك سلوكي

أولا ً: الأبعاد البيانية والبلاغية

.1التوكيد بالمصدر) تبتيلا ً(:
· البعد: لم يقل "وتبتل إليه" فقط، بل "تبتيلا ً" مصدراً مؤكداً لنفس الفعل.
· السر البلاغي: يدل على المبالغة والتكرار والاستمرارية. أي تبتل كلياً لا جزئياً، ودائماً لا مؤقتاً.
.2الجمع بين الإثبات والنفي) رب المشرق والمغرب - لا إله إلا هو(:
· البعد: إثبات ربوبيته لكل شيء، ثم نفي أي إله سواه.
· السر البلاغي: هذا الأسلوب يربي العقل على أن التوحيد لا يكتفي بأن تقول "أشهد"، بل يجب أن تنفي وتثبت بقلبك وعقلك.
.3الأمر بالصبر ثم الهجر) واصبر ...واهجرهم(:

· البعد: الصبر يسبق الهجر. فمن لم يصبر على الأذى، لن يستطيع أن يهجر هجراً جميلا ً، بل سينفعل ويرد بأذى.
· السر البلاغي: وضع قوانين نفسية للتعامل مع الأزمات.

ثانياً: الأبعاد التربوية

.1تربية "الذكر الدائم": العبادة ليست قيام ليل فقط، بل ذكر مستمر وتبتل دائم.
.2تربية "الوكول") التفويض(: من أعظم ثمار التوحيد أن تتخذ الله وكيلا ً، أي تفوض أمرك كله له، فتريح قلبك.
.3تربية "الصبر الجميل" و"الهجر الجميل": تربيتان متلازمتان .الصبر الجميل: بلا شكوى .الهجر الجميل: بلا أذى .هذه هي أخلاق الداعية.

ثالثاً: التحويل إلى محرك سلوكي

.1مبدأ "الذكر كالنفس") استمرارية الذكر(:
· المحرك: الذكر يجب أن يكون كالتنفس، لا ينقطع إلا اضطراراً.
· السلوك: اربط ذكر الله بعاداتك اليومية (عند الأكل، الشرب، ركوب السيارة، دخول المنزل). اجعل لسانك رطباً بذكر الله.
.2مبدأ "التبتل المركز") خلوة يومية(:
· المحرك: لا يكفي ذكر متفرق، بل تحتاج إلى انقطاع تام يومي.
· السلوك: خصص 10-15 دقيقة يومياً في مكان هادئ، تغلق فيها هاتفك، وتجلس مع الله كأنك وحده في الوجود: تذكره، تدعوه، تناجيه. هذا هو التبتل العملي.
.3مبدأ "وكيلك الله لا الناس") إدارة الخوف(:
· المحرك: كلما خفت من مدير، أو زميل، أو نتيجة، كرر: "فاتخذه وكيلا ً".
· السلوك: قم بعمل "مصفوفة الوكول"؛ اكتب كل الأشياء التي تشعر بالقلق منها، وبجانبها اكتب "وكيلي الله فيها". وكرر هذا الإيمان حتى يتحول إلى يقين.
.4مبدأ "الهجر الجميل") إدارة العلاقات السامة(:
· المحرك: لا تقطع علاقاتك بعنف مع من يؤذيك، ولكن اهجر ما يؤذيك بطريقة جميلة.
· السلوك: إذا تعرضت لإهانة أو قول جارح، تدرب على عبارة مسكنة: "لا سامحك الله" بل "عذراً، لا أرغب في استكمال هذا الحديث" وانسحب بهدوء. هذا هجر جميل.

خامساً: أهم الدلالات من الآية وكيف نفهم الآية فهماً عميقاً

أولا ً: دلالات تتجاوز اللفظ إلى العمق

.1دلالة "وتبتل إليه تبتيلا ً") الانقطاع لله وحده(:
· الدلالة العميقة: التبتل هو أعلى درجات الحب. عندما تحب شخصاً حباً كلياً، تنقطع إليه عن كل شيء. الآية تدعوك لحب الله الذي يجعلك تنسى نفسك والناس في حضرته.
.2دلالة "فاتخذه وكيلا ً") التفويض المطلق(:
· الدلالة العميقة: الوكيل هو من تثق به ليدبر أمرك. كثير من الناس يتخذون الله وكيلا ً في أمور ووكلاء آخرين (أموالهم، قوتهم، علاقاتهم) في أمور أخرى. الآية تدعوك لجعل الله هو الوكيل الوحيد.
.3دلالة "الهجر الجميل") أدب الاختلاف(:
· الدلالة العميقة: الهجر الجميل ليس غضباً أو حقداً، بل هو احترام للذات مع عدم السماح للآ خرين بإيذائك. هو فن وضع الحدود بأخلاق.

ثانياً: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً (أسئلة المحرك)

.1في مواجهة "اذكر اسم ربك": هل لساني رطب بذكر الله؟ أم أنني لا أذكره إلا في الصلاة فقط؟
.2في مواجهة "وتبتل إليه": هل لي ولو ربع ساعة يومياً أنقطع فيها لله تماماً عن العالم؟
.3في مواجهة "فاتخذه وكيلا ً": من هو وكيلي الحقيقي في أموري؟ هل هو الله حقاً أم أن وكيلي هم الناس والمال والوظيفة؟
.4في مواجهة "واصبر ...واهجرهم": كيف أتعامل مع من يسيء لي؟ هل أصبر ثم أهجر هجراً جميلا ً، أم أنفجر ثم أندم؟

ثالثاً: المعادلة السلوكية للآيات

(الذكر الدائم + التبتل اليومي) + (التوكل: اتخاذ الله وكيلا ً) + (الصبر الجميل + الهجر الجميل) = شخصية الداعية الراسخة التي لا تتزعزع.

سادساً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

· خاطرة "الذكر سد منيع": من يذكر الله كثيراً، لا تجد الأفكار السلبية والوساوس طريقاً إلى قلبه. الذكر هو الحصن الحصين.
· خاطرة "التبتل كحب العاشق": هل جربت أن تحب الله حباً يجعلك تترك كل شيء وتجلس معه؟ جرب التبتل مرة، وستعرف معنى "أنا عند ظن عبدي بي".
· خاطرة "الله وكيلي، فمن يضيرني؟": إذا كان رب المشرق والمغرب معك، فمن عليك؟ هذه الخاطرة وحدها تكفي لإسكات كل مخاوفك.
· خاطرة "الهجر الجميل: فن عدم الرد": أحياناً أقوى رد هو عدم الرد. أن تهجر الرد على الإساءة بكل جمال وكرامة، هو أشد تأثيراً من ألف كلمة.

كيفية الاستفادة العملية:

· ابدأ كل صباح بـ "عقد النية": اللهم إني أتخذك وكيلا ً في يومي هذا.
· احتفظ بـ "دفتر الهجر الجميل": كلما أساء إليك أحد، اكتب الموقف ثم اكتب بجانبه "هجر جميل" ولا تعد تذكره.

سابعاً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية في بناء أنفسنا

.1وقفة "ميزان الذكر": كم نسبة ذكر الله من كلامي في اليوم الواحد؟ هل أذكره بقدر ما أتكلم في أمور الدنيا؟
.2وقفة "خلوة التبتل": هل لدي مكان وزمان أتبتل فيه لله؟ إن لم يكن، فلماذا لا أخصصه اليوم؟
.3وقفة "بطاقة الوكيل": اكتب على ورقة صغيرة "فاتخذه وكيلا ً" وضعها أمامك في مكتبك أو في سيارتك.
.4وقفة "حدود الهجر الجميل": هل لدي علاقة مؤذية في حياتي؟ هل أستطيع أن أهجر فيها ما يؤذيني) وليست الشخص نفسه (هجراً جميلا ً؟

ثامناً: أبعاد وآفاق الآية

· البعد الروحي: رحلة الداعية من النهار (السبح الطويل) إلى الليل (ناشئة الليل) ثم إلى الذكر الدائم والتبتل هي خريطة كاملة للتزكية.
· البعد النفسي: علاج الخوف والقلق يكون بـ "التوكل العملي" (فاتخذه وكيلا ً) وعلاج الغضب يكون بـ "الصبر والهجر الجميل".
· البعد الاجتماعي: الآيات تقدم نموذجاً للتعامل مع المخالفين والمعاندين في الدعوة: ليس بالعنف ولا بالصدام الغبي، بل بالصبر الجميل والهجر الجميل، مع استمرار الذكر والتبتل.
· البعد العقدي: تأكيد توحيد الربوبية (رب المشرق والمغرب) وتوحيد الألوهية (لا إله إلا هو) وتوحيد التوكل (فاتخذه وكيلا ً) في ثلاث عبارات متتالية هو إعجاز في ترسيخ العقيدة.

تاسعاً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآيات

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "الذكر" كحياة للقلب: القلب بدون ذكر ميت.
.2مفهوم "التبتل" كأعلى درجات الإخلاص: انقطاع كامل لله.
.3مفهوم "التوكل" كثمرة للتوحيد: بعد أن عرفت أن الله رب كل شيء وإلهه الوحيد، فوّض أمرك له.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· الذكر ليس تسبيحة فقط، بل حضور قلب.
· التبتل يحتاج إلى عزلة اختيارية يومية.

· التوكل ليس تواكلا ً، بل تفويض مع الأخذ بالأسباب.
· الصبر الجميل هو صبر بلا شكوى.
· الهجر الجميل هو هجر بلا أذية.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: الأمن النفسي يتحقق بالتبتل والتوكل.
· الفكري: عظمة الله (رب المشرق والمغرب) تستدعي عبادته وحده.
· التربوي: القدوة في الصبر على الأذى: النبي ﷺ صبر على ما قالوا وهجرهم هجراً جميلا ً.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة (تفصيل)

· القائد يذكر ربه دائماً: ليس عيباً أن يُرى القائد يذكر الله، بل هو قوته.
· القائد يتبتل إلى الله: له خلواته التي ينقطع فيها لمراجعة نفسه واستمداد طاقته.
· القائد يتخذ الله وكيلا ً: لا يتوكل على منصبه أو ماله أو شعبيته، بل على الله وحده.
· القائد يصبر على ما يقال عنه: في الدعوة والعمل العام، سيتعرض القائد للكثير من الاتهامات والأقوال. الآية تربي القائد على ألا ينهار، بل يصبر.
· القائد يهجر هجراً جميلا ً: لا يدخل في مهاترات وجدالات عقيمة مع منتقديه، بل يهجر الرد على التفاهات بهدوء وكرامة.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآيات

· التنمية الروحية: تبدأ بالذكر، وتتصاعد إلى التبتل، ثم إلى التوكل.
· التنمية الذاتية: التخلص من التعلق بآراء الناس (الهجر الجميل) هو أعلى درجات التحرر.
· التنمية القيادية: القائد الصبور هو من يدوم، والقائد الذي يرد على كل إهانة يضيع وقته.

الأمر السادس: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء

· حوّل "الذكر" إلى تطبيق يومي: استخدم تطبيق تسبيح إلكتروني يذكرك بورد يومي.
· حوّل "التبتل" إلى روتين: "ساعة الصفاء" يومياً، تغلق فيها كل المشتتات.
· حوّل "التوكل" إلى عبارة ترددها عند كل قلق: "فاتخذه وكيلا ً، حسبي الله ونعم الوكيل".
· حوّل "الصبر والهجر الجميل" إلى منهج في العلاقات: لا تحترق على من أساء إليك، بل تجاوز بكرامة.

عاشراً: الدروس والعبر والتوجيهات المستنبطه من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أحب الله الذي يريدني أن أذكره دائماً، وأن أنقطع إليه، وأن أتوكل عليه.
· المحرك العقلي: أدرك أن ذكر الله هو مصدر قوتي، وتبتلي إليه هو راحتي النفسية، وتوكلي عليه هو أملي الوحيد.
· المحرك الإرادي: أتعهد اليوم بأن أجعل لساني رطباً بذكر الله، وأن أخصص وقتاً يومياً للتبتل، وأن أفوض أمري لله وحده، وأن أصبر على أذى الناس وأهجر الردود العقيمة.
· المحرك العملي: أبدأ اليوم بتطبيق "برنامج الذكر" و"التبتل" و"التوكل" و"الصبر" خطوة خطوة.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا للذكر: من مجرد كلمات تقال بلا وعي، إلى غذاء للروح.
· تغير نظرتنا للخلوة: من عزلة مملة إلى لقاء مع الله.
· تغير نظرتنا للمخاوف: من عوائق مقلقة إلى فرص لتجديد التوكل.
· تغير نظرتنا للإساءات: من جراح تستمر إلى مواقف نصبر فيها ونمضي.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.1درس: الحياة بدون ذكر موت

· العبرة: من عاش بغير ذكر الله، عاش حياة الحيوان، بل أشد ضلالا ً.
· التطبيق: اجعل لك وردا يوميا من الأذكار (الصباح، المساء، دبر الصلوات). لا تتركه أبدا.
.2درس: التبتل هو سر الاستمرار
· العبرة: من أراد أن يستمر في طريق الدعوة أو أي طريق شاق، لا بد من "خلوة يومية" مع الله.
· التطبيق: ابدأ بـ 10 دقائق يوميا، تخلو فيها في غرفتك، لا هاتف، لا شيء، تتأمل، تذكر الله، تدعوه.
.3درس: من اتخذ الله وكيلا ً، كفاه كل شيء
· العبرة: التوكل يحرر الإنسان من العبودية لغير الله. من صدق في اتخاذ الله وكيلا ً، لم يعد يخ شيئا.
· التطبيق: عندما تأتي لحظة خوف أو قلق، قل بصدق: "فاتخذه وكيلا ً، حسبي الله ونعم الوكيل".
.4درس: الصبر الجميل والهجر الجميل هما سلاح الداعية
· العبرة: لا تنتصر على أعدائك برد الإساءة، بل بالصبر والهجر الجميل.
· التطبيق: إذا سمعت كلاما جارحا، اتبع ثلاثة خطوات: (1) لا ترد فورا. (2) قل في نفسك "واصبر على ما يقولون". (3) إن أمكن، غادر المكان بهدوء (هجر جميل).

رسالة الختام

صديقي، هذه الآيات (8-10) تحولك من داعية يطلب القوة إلى داعية هو نفسه القوة.

· الآيات الأولى أعطتك المنهج (قم الليل ورتل).
· الآيات الوسطى أعطتك السبب (القول الثقيل).
· وهذه الآيات تعطيك الشخصية الجديدة التي تخرج بها بعد القيام: شخصية تذكر الله دائما، وتتبتل إليه، وتتخذه وكيلا ً، وتصبر على الأذى، وتهجر هجرا جميلا ً.

هذا هو المؤمن القوي الذي أراده الله.
لا تكن مؤمنا ضعيفا ينهار عند أول إساءة. كن مؤمنا عظيما كما تصفك هذه الآيات.

والآن، بعد أن عرفت الوصفة الكاملة: قيام ليل، ترتيل، ذكر، تبتل، توكل، صبر، هجر جميل،

هل أصبحت جاهزا لمواجهة "القول الثقيل" في حياتك؟

القسم الثاني

المبحث الأول

تفسير واستنباط المفاهيم والدروس والرسائل والتوجيهات من الايات 11--14

أولا ً: نظرة عامة وتمهيدية للآيات (11-14) من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآيات
بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالقيام الليل، والذكر، والتبتل، والتوكل، والصبر الجميل، والهجر الجميل - يأتي الآن تحول جذري في الخطاب. لم يعد الخطاب موجها للنبي فقط، بل يتسع ليشمل المكذبين من المترفين. والانتقال هنا يحمل دلالة عظيمة: بعد أن جهز الله نبيه بالعدة الروحية، يأتي دور المواجهة العملية و الابتلاء الإلهي.

الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه "دعني أنا وهؤلاء المكذبين" بصيغة التهديد والوعيد. هذه الآيات تعلن بدء مرحلة التمحيص والابتلاء، حيث يمتحن الله المؤمنين ليميز الخبيث من الطيب. من يثبت على الحق رغم الأذى ومن يتساقط ويتخاذل. ثم يصف الله حال هؤلاء المكذبين الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم، ويصور لنا مشهدا مرعبا من مشاهد يوم القيامة: الجبال تتحرك وتصبح كثيبا مهيلا ً. كأن الله يقول: "يا محمد، لا تحزن مما يقولون، فإني متكفل بأمرهم. وهب لهم نعمة ومالا ً وذرية، فاستعملوها في الكبر والغرور، ولكن ذلك كله سيزول ويفنى، وسأفعل بهم ما تسمع".

الأمر الثاني: دلالة الانتقال من الآيات (8-10) إلى الآيات (11-14)
هذا الانتقال بالغ الأهمية ويلخص منهج الله في التعامل مع الدعوة:

· الآيات8) -(10: أمر النبي بالصبر والهجر الجميل.
· الآيات11) -(14: إعلام النبي بأن الله هو المنتقم، وأنه متكفل بأمر المكذبين.
· المغزى العميق: ليس من وظيفة الداعية أن ينتقم لنفسه أو يعذب المكذبين .وظيفته: الصبر، والهجر

الجميل، والاستمرار في الذكر والتبتل .أما الجزاء والانتقام والتمحيص، فإلى الله وحده.

الأمر الثالث: التمحيص والابتلاء في هذه الآيات
هذه الآيات تعلن بدء مرحلة "اختبار الصبر". المؤمنون الحقيقيون سيمتحنون بأذى المترفين، فمن يصبر ويحتسب الأذى في الله، ويحتمل المكروه من مخافة الله، سيبذلهم الله مكان الخوف أمناً، و الذل عزة، ويعطيهم الكرامة والنعم. وأما المترفون المتكبرون فسيرون بأعينهم عاقبة كفرهم.

الأمر الرابع: الأفكار الرئيسية (11-14)

.1التفويض الإلهي للانتقام) وذرني والمكذبين(: يقول الله لنبيه: "اتركني أنا和他们، أنا متكفل بهم" . تهويل ووعيد للمكذبين.
.2وصف المكذبين) أولي نعمة(: إنهم المترفون، أصحاب الأموال والنعم الذين استعملوها في الكبر و الطغيان.
.3وصف حال الأعداء) و أمهلهم قليلا ً(: يمنحهم الله فترة من الإمهال ليستدرجهم ويزيدهم إثماً، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.
.4مشاهد القيامة الرهيبة) إن لدينا أنكالا ً وجحيماً(...: وصف لعذاب الله لهم في الآخرة.
.5تدمير قوتهم الدنيوية) يوم ترجف الأرض والجبال(: صورة لانهيار كل ما اعتزوا به في الدنيا، الجبال تصبح كثيباً مهيلا ً.

الأمر الخامس: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

.1الهدف الأول: طمأنة قلب النبي والمؤمنين بعدم الحاجة للانتقام الذاتي
· الغرض: "وذرني والمكذبين" أي: لا تشغل بالك بهم، ولا تحاول الانتقام منهم، فأنا متكفل بذلك . الهدف هو رفع الحمل النفسي عن الداعية.
· المقصد: تحرير طاقة الداعية من التفكير في الأعداء إلى التركيز في الدعوة وتربية النفس.
.2الهدف الثاني: بيان سنة التمحيص والابتلاء في الدنيا
· الغرض: إمهال الله للمترفين ليس إكراماً لهم، بل هو استدراج وابتلاء للمؤمنين .الهدف هو تمييز الخبيث من الطيب.
· المقصد: تعليم المؤمن ألا يغتر بظاهر حال الكفار من نعم ورفاهية، فهي فتنة وامتحان.
.3الهدف الثالث: تحذير أصحاب النعم من الغرور والكبر
· الغرض: المترفون ظنوا أن إمهال الله لهم دليل على رضاه عنهم أو عجزه عنهم .الآية تكشف هذا الوهم.
· المقصد: تربية النفس على التواضع وشكر النعم، وعدم استخدامها في التطاول على عباد الله.
.4الهدف الرابع: تصوير عاقبة الكبر والغرور بمشاهد محسوسة
· الغرض: ذكر الأغلال والنار والطعام الشديد الألم) الغسلين(، ثم انهيار الجبال .الهدف هو إيقاظ الخوف في القلوب.
· المقصد: ردع النفس عن الغي والطغيان بتذكيرها بيوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
.5الهدف الخامس: إثبات عدل الله في معاقبة المستكبرين
· الغرض: الذين استكبروا على عباد الله المستضعفين، واحتقروهم بأعينهم، سيجدون جزاءهم عند الله.
· المقصد: إقامة العدل الإلهي، وأن الدنيا ليست دار جزاء، بل دار بلاء وامتحان.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآيات (سورة المزمل 11-14)

الآية الحادية عشرة: (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "وَذَرْنِي": اتركني ودعني، أنا متكفل بأمرهم .هي صيغة تهديد ووعيد.
· "وَالْمُكَذِّبِينَ": عطف على مفعول معه، تقديره: "ذرني والمكذبين" أي اتركني وشأنهم.
· "أُولِي النَّعْمَةِ": أصحاب المال والرفاهية والنعيم .الذين اغتروا بما عندهم.
· "وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا": أمهلهم فترة قصيرة، أي أخر عذابهم قليلا ً ليزدادوا إثماً ثم آخذهم.

لماذا قال "وذرني" بصيغة التهديد المباشر؟
لأن الله يريد أن يشعر نبيه ﷺ أنه ليس وحده في المعركة. "ذرني" تعني "أنا الكافي لهم". هذا قمة التطمين للداعية.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: تخفيف عن النبي ﷺ: لا تحزن، ولا تشغل بالك بالمكذبين، فالله معك ومتكفل بأمرهم .هذا يزيل الشعور بالعجز.
· الرسالة التربوية: التربية على "التفويض العملي" .لا تظن أن عليك أن تنتصر بنفسك على كل من يكذبك .انتصر بالله وتوكل عليه.
· الرسالة الفكرية: إمهال الله للظالمين ليس ضعفاً منه، بل هو سنة كونية ليتم التمحيص والابتلاء .فالمؤمن لا يغتر بسعة الرزق عند الكفار.
· الرسالة العملية: إذا أزعجك أحد في طريقك، قل لنفسك: "ذرني والمكذبين" .فوّض أمره لله، ولا تضيع طاقتك في التفكير به أو الرد عليه.

الآية الثانية عشرة: (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "إِنَّ لَدَيْنَا": تأكيد أن ما سيأتي محقق لا شك فيه.
· "أَنْكَالًا": قيود وأغلال ثقيلة من حديد، جمع نكل.
· "وَجَحِيمًا": نار عظيمة شديدة الإحراق.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: زرع الخوف من عاقبة التكذيب والكبر .هذا الخوف يكون رادعاً للنفس الأمارة بالسوء.
· الرسالة التربوية: تذكير العاصي والمترف أن ما بين يديه من نعم سيزول، وأن هناك ما هو أعظم: الأغلال والنار.
· الرسالة العقلية: العقل السليم يزن بين متعة عابرة للدنيا) النعمة (وعذاب دائم للآخرة) الأنكال والجحيم .(فلماذا يختار الإنسان العذاب؟
· الرسالة العملية: استشعر هذه المشاهد عند كل ذنب تعصي الله به .تذكر أن لديه أنكالاً وجحيماً.

الآية الثالثة عشرة: (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ": طعام لا يبتلع من شدة كراهته وخبثه، فيغص به صاحبه في حلقه .وقيل هو طعام أهل النار: من الزقوم والغسلين.
· "وَعَذَابًا أَلِيمًا": عذاب موجع مؤلم.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: تصوير العذاب بطريقة حسيّة) الغصة في الحلق (يجعل النفس تتألم وتخاف قبل وقوع العذاب.
· الرسالة التربوية: التذكير بأن جزاء الذين منعوا الطعام عن المستضعفين أو استكبروا عليهم، سيكون طعاماً يغصون به.
· الرسالة العقلية: مقارنة بين نعيم الدنيا) طعامهم اللذيذ (وعذاب الآخرة) طعام الغصة (ليتعظ العاقل.
· الرسالة العملية: تذكر هذه الآية عند الكبر على الفقراء أو الترفع عنهم .كن متواضعاً، وآت الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

الآية الرابعة عشرة: (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ": أي يوم تتزلزل الأرض والجبال زلزالاً شديداً .الرجفة: الحركة والاضطراب العنيف.

· "وَكانتِ الجِبَالُ كثِيبًا مَهِيلًا": الكثيب: الرمل المتراكم .المهيل: السائل الذي ينساب ويسقط بسهولة . صورة الجبال الصلبة الشامخة تصبح كالرمل الناعم الذي ينهار.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: أشد ما يعتز به الإنسان في الدنيا: الأرض التي يقف عليها، الجبال التي تمنحه الأ من والثبات .تصويرها وهي تتهاوى وتميع، يزرع أعمق أنواع الخوف والرهبة.
· الرسالة التربوية: تربية المؤمن على ألا يغتر بقوته ولا بثبات مكانته .كل شيء زائل، والثبات الحقيقي هو ثبات الإيمان في القلب.
· الرسالة العقلية: الجبال كانت رمزاً للقوة والشموخ عند العرب .إخبارهم بأنها ستصبح كثيباً مهيلا ً يقود العقل إلى التساؤل: فماذا سيكون حال الإنسان المتكبر؟!
· الرسالة العملية: استشعر هذا المشهد في صلاتك وسجودك .تخيل نفسك يوم تترجف الأرض وتنهار الجبال .هل سينفعك مال أو بنون أم سيضرك كبرك وغطرستك؟

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

.1تصوير "ذرني والمكذبين": كأن الله يقول لنبيه: "أرني ظهرك، ودعني أتولى أمرهم" .صورة التفويض الكامل.
.2تصوير "الأنكال والجحيم": مشهدان متتاليان: قيود ثقيلة تمنع الحركة، ثم نار تحرق .هذا تسلسل رهيب في العذاب.
.3تصوير "طعام ذا غصة": صورة حسية مروعة: طعام لا يستطيع أكله أن ينزل إلى جوفه، بل يبقى عالقاً في حلقه يسبب الغصة والاختناق.
.4تصوير الجبال "كثيباً مهيلا ً": أبلغ تصوير لفناء أعظم المخلوقات على الأرض .الجبال التي نراها صامدة، تصبح ككومة رمل سائلا ً ينهار.

أغراض هذا التصوير البياني:

· إيقاظ الغافلين وإخافتهم لعلهم يرجعون.
· طمأنة المستضعفين بأن عاقبة الكبر والطغيان مؤكدة.
· ترسيخ مشهد القيامة في الخيال البشري ليكون رادعاً دائماً.

رابعاً: الأبعاد البيانية والبلاغية والتربوية وكيفية تحويلها لمحرك سلوكي

أولا ً: الأبعاد البيانية والبلاغية

.1صيغة "ذرني") التفويض الإلهي(:
· البعد: تعظيم الله لنفسه وإظهار كمال قدرته.
· السر البلاغي: هي أبلغ من أن يقول "سأعاقبهم" .فيها قسوة على الكفار وحنان على النبي.
.2وصف المكذبين بـ "أولي نعمة":
· البعد: التهكم بهم .هم أولو نعمة في الدنيا، ولكن ليس لهم عند الله نعمة في الآخرة.
· السر البلاغي: التنبيه على أن النعم قد تكون سبباً للشقاء إذا لم تشكر.
.3التدرج الرهيب في المشاهد) أنكال ← جحيم ← طعام ذا غصة ← عذاب أليم(:
· البعد: سلم متصاعد من العذاب، كل درجة أشد من التي قبلها.
· السر البلاغي: إرهاف الخوف في نفس السامع حتى يصل إلى ذروته.
.4تشبيه الجبال بكثيب مهيل:
· البعد: استحالة الشيء إلى نقيضه .الجبال الصلبة تتحول إلى رمل سائل.
· السر البلاغي: إظهار قدرة الله على إذلال أقوى المخلوقات.

ثانياً: الأبعاد التربوية

.1تربية "التفويض لله" في مواجهة الأعداء: لا تحاول أن تنتقم لنفسك، فوّض أمر من آذاك إلى الله.
.2تربية "عدم الغرور بالنعم": المال، الصحة، الجاه كلها فتن وامتحانات، وليست دليلا ً على حب الله أو كرامته.
.3تربية "اليقين بالعدل الإلهي" : الظلم والكبر وإن طال أمدهما، فلهما نهاية موجعة.

.4تربية "الاستعداد للآخرة" : مشاهد القيامة ليست للترهيب فقط، بل للتحفيز على العمل.

ثالثاً: التحويل إلى محرك سلوكي

.1مبدأ "ذرني") التفويض النفسي(:
· المحرك: كلما ظلمك ظالم أو آذاك مؤذ، قل في نفسك "ذرني والمكذبين".
· السلوك: لا تشغل تفكيرك بالانتقام أو الرد، اكتب اسم من آذاك على ورقة، وقل "اللّهم إني فوّضت أمره إليك"، ثم مزق الورقة ولا تذكره مرة أخرى.
.2مبدأ "أولي نعمة") امتحان النعمة(:
· المحرك: اسأل نفسك دائماً: أنا من "أولي نعمة"؟ هل أستخدم نعمتي في شكر الله أم في الكبر والطغيان؟
· السلوك: اكتب نعم الله عليك) صحة، مال، أهلا ً، علماً .(بجانب كل نعمة اكتب: هل شكرتها أم استعملتها في معصية أو غرور؟
.3مبدأ "التمحيص بالصبر") اختبار الصدق(:
· المحرك: عندما تأتيك مصيبة أو أذى، تذكر أن هذا تمحيص من الله ليرى أتصبر أم تتساقط.
· السلوك: اجعل لك "سجل الصبر" الأسبوعي .سجل فيه ثلاثة مواقف صبرت فيها على أذى أو مكروه، وكافئ نفسك.
.4مبدأ "تصور زوال القوى") كئيب مهيل(:
· المحرك: تذكر أن كل ما تعتز به من قوة ومنصب ومال سيزول كالجبال التي تتحول إلى رمل.
· السلوك: مارس "تمرين الفناء" .تخيل أنك فقدت كل ما تملك، ثم اشكر الله على ما أعطاك قبل أن تفقده، واستعد للقاء الله بالعمل الصالح.

خامساً: أهم الدلالات من الآية وكيف نفهم الآية فهماً عميقاً

أولا ً: دلالات تتجاوز اللفظ إلى العمق

.1دلالة "ذرني") الإله المتكفل وحده(:
· الدلالة العميقة: هناك فرق بين أن تطلب من الله أن ينتقم لك، وبين أن تترك الأمر كله له . "ذرني" تعني أنك تخرج من المعادلة تماماً .هذا هو قمة التوكل.
.2دلالة "أولي نعمة") اختبار الأغنياء(:
· الدلالة العميقة: أصحاب النعمة هم أشد الناس ابتلاءً يوم القيامة، لأن حسابهم أشد، ومسؤوليتهم أكبر .الغنى نعمة ونقمة في آن واحد، حسب كيفية استخدامه.
.3دلالة "التمحيص والابتلاء") سر الإمهال(:
· الدلالة العميقة: إمهال الله للظالمين ليس غفلة، بل هو "مدة اختبار" للمؤمنين .هل سيصبرون؟ هل سيتمسكون بدينهم رغم الأذى؟ هل سيتساقطون؟ الله يريد أن يميز الخبيث من الطيب.
.4دلالة "الجبال كثيباً مهيلا ً") انعدام الثقة في الدنيا(:
· الدلالة العميقة: الجبال ترمز إلى "اليقين" و"الثبات" في الدنيا .عندما تتحول إلى رمل، هذا يعني أن كل ما ظننته ثابتاً في الحياة زائل .فلا تعلق قلبك إلا بالله.

ثانياً: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً (أسئلة المحرك)

.1في مواجهة "ذرني": هل أترك أمر من يظلمني لله حقاً، أم أظل أفكر في الانتقام والرد؟
.2في مواجهة "أولي نعمة": هل أنا من "أولي نعمة" ممن قد يستعملون نعمهم في الكبر؟ كيف أحمي نفسي من هذا الفخ؟
.3في مواجهة "التمحيص": هل أعتبر الأذى الذي يصيبني من الناس "تمحيصاً من الله" أتقرب به إليه بالصبر، أم أعتبره ظلماً أهرب منه؟
.4في مواجهة "الجبال المهيلة": ما هي "جبالي" التي أعتز بها في حياتي) منصبي، مالي، صحتي (التي قد تنهار فجأة؟

ثالثاً: المعادلة السلوكية للآيات

)التفويض لله في الانتقام) + (عدم الغرور بالنعم) + (الصبر على التمحيص) = (الأمن في الدنيا والفوز في الآخرة.(

سادساً: التمحيص والابتلاء في الآيات
هذه الآيات تعلن بدء مرحلة "التمحيص الإلهي". إليك تفصيل ذلك:

أولا ً: معنى التمحيص لغة وشرعاً:
التمحيص: التخليص والتصفية. وهو اختبار من الله يخرج به المؤمن نقياً من الذنوب، وتظهر به حقيقة صبره ويقينه.

ثانياً: كيف يتم التمحيص في هذه الآيات؟

.1بأذى المترفين: يسلط الله المستكبرين أصحاب النعمة على المؤمنين المستضعفين .المؤمنون يصبرون على أذاهم ويحتسبون.
.2بإمهال الكفار: إمهالهم هو محنة للمؤمنين، ليرى الله من يغتر بظاهر حالهم ويسقط في اليأس، ومن يثبت على إيمانه رغم تأخر النصر.
.3بإطالة أمد البلاء: "ومهلهم قليلا ً" تعني أن البلاء سيطول، ليختبر صبر المؤمنين: هل يتخاذلون ويرتدون، أم يزدادون إيماناً؟

ثالثاً: الغاية من التمحيص:

· تمييز الخبيث من الطيب: من يثبت على الحق ومن يتساقط ويتخاذل.
· تطهير المؤمنين: الذنوب والأخطاء تحترق بنار الابتلاء.
· رفع درجات الصابرين: كل ألم يُحتسب يرفع درجة.

رابعاً: وعد الله للصابرين المحتسبين (مستفاد من معنى الآيات):
إذا رأى الله من عباده الصبر على الأذى، واحتمال المكروه من مخافة الله، والثبات على الحق رغم التجريح والتكذيب، فإن الله سيبدلهم:

· بدل الخوف أمناً.
· بدل الذل عزة.
· بدل الضعف قوة.
· وبدل الفقر غنى وكرامة ونعماً.

خامساً: تحذير أصحاب النعم:
هؤلاء المترفون الذين اغتروا بأموالهم واحتقروا المستضعفين (يحتقرونهم بأعينهم، ينظرون إليهم نظرة ازدراء) - ظنوا أن إمهال الله لهم إنما هو منزلة لهم عنده، أو إكرام، أو عجز من الله. ولكن هذا الإ مهال هو "استدراج"، و"إملاء"، و"تمكين للاختبار". فولد في أرواحهم الكبر والغرور، وضلوا فأضلوا.

سابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

· خاطرة "ذرني": أعظم تطمين للقلب: أن الله يقول لك "ذرني أنا وهؤلاء" .يا لها من راحة نفسية! فلماذا نكدّ أنفسنا بالتفكير في المنتقمين؟
· خاطرة "أولي نعمة الفقراء": قد يكون الفقر نعمة إذا كان سبباً في التواضع واللجوء إلى الله .وقد يكون الغنى نقمة إذا كان سبباً في الكبر.
· خاطرة "الغصة في الحلق": طعام لا يبتلع .تخيل نفسك تريد أن تأكل وكل لقمة تمنعها .هذا جزاء من منع الطعام عن الجياع في الدنيا.
· خاطرة "الجبال التي نعبدها": أحياناً نجعل من "الجبال" أصناماً: الوظيفة، المنصب، المال .الآية تخبرنا أن كل هذه ستنهار يوماً، فلا تجعلها إلهك.

كيفية الاستفادة العملية:

· استشعر "ذرني" في صلاتك: عندما تمر بآية عذاب، تذكر أن الله متكفل بالعذاب، وأنت فقط عليك أن تخافه وتحبه.
· كلما رأيت من يظلمك، تذكر أن الله أمهله قليلا ً ليزداد إثماً، لا لأنه يعجزه شيء.

ثامناً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية في بناء أنفسنا

.1وقفة "التفويض": هل عندي شخص ظلمني؟ هل استطعت أن أقول من قلبي "ذرني والمكذبين" وأخرج أمره من ذهني؟ جرب اليوم.
.2وقفة "فحص النعمة": اكتب كل نعمة عندك) مال، صحة، جمال، علم .(سؤال التدبر: هل جعلتني هذه النعمة أقرب إلى الله أم أبعد؟ هل جعلتني أتكبر أم أتواضع؟
.3وقفة "تمحيص الصبر": حدث أذى تعرضت له من أجل دينك .كيف كانت ردة فعلك؟ هل صبرت واحتسبت أم غضبت وانفعلت؟
.4وقفة "صور القيامة": أغمض عينيك لحظة، وحاول أن تتخيل الجبال التي تعرفها تتحول إلى رمال تتداعى .كيف سيكون شعورك؟ هذا الشعور هو ما يجعلك تخاف الله وتطيعه.

تاسعاً: أبعاد وآفاق الآية

· البعد التوحيدي: إثبات قدرة الله المطلقة وأنه المتكفل بالجزاء وحده.
· البعد النفسي: علاج ألم الاضطهاد والظلم بتفويض الأمر لله.
· البعد الاجتماعي: تحذير الأغنياء والمترفين من الكبر على الفقراء والمستضعفين.
· البعد الأخروي: تذكير الإنسان بمشاهد القيامة لتكون رادعاً له عن المعاصي والطغيان.
· البعد التربوي للأمة: تعليم الأمة ألا تنظر إلى إمهال الكفار واستطالتهم على أنها غلبة، بل هي اختبار وتمحيص.

عاشراً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآيات

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "التفويض الإلهي": الله هو المنتقم والمتكفل بأمر المكذبين.
.2مفهوم "التمحيص والابتلاء": الدنيا دار اختبار، والمؤمن يمتحن بأعدائه.
.3مفهوم "الاستدراج": إمهال الله للظالمين عقوبة لا كرامة.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· لا تشغل بالك بالانتقام، فوّض أمر الظالمين لله.
· لا تغتر بالنعم، فهي قد تكون فخاً.
· الصبر على الأذى هو الطريق للنصر والعزة.
· كل شيء زائل، حتى الجبال الراسيات.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: تفويض الأمر لله يريح النفس من ألم الظلم.
· الفكري: التفرقة بين النعم التي تقرب إلى الله والنعم التي تبعد.
· التربوي: الصبر في الضيق يورث الفرج والعز في النهاية.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة

· القائد لا ينتقم لنفسه: القائد الحقيقي يفوّض أمر أعدائه لله، ولا يصرف طاقته في حروب الردة الشخصية.
· القائد يمتحن بصبره على الأذى: من أسرع إلى الرد والانتقام، سقط فوراً .ومن صبر واحتسب، رسخ.
· القائد لا يغتر بـ "أولي نعمة" من حوله: المال والجاه والسلطان لا تعني أن الحق معهم .الحق مع الصابرين المحتسبين.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآيات

· التنمية الذاتية: تنمية القدرة على الصبر والتحمل.
· التنمية الروحية: تنمية اليقين بأن الله مع الصابرين.
· التنمية العاطفية: تنمية القدرة على التفويض والتصالح مع ألم الظلم.

الأمر السادس: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء

· حوّل "ذرني" إلى تطبيق يومي: كل ليلة، قبل النوم، اكتب كل من أساء إليك وقل "اللّهم إني فوّضتهم إليك" .ثم ارتح.
· حوّل "التمحيص" إلى ميزان ذاتي: اسأل نفسك "هل زاد إيماني بعد هذا الأذى أم نقص؟"
· حوّل "الكثيب المهيل" إلى حافز: تذكر كلما أردت التكبر أن جبال كبريائك ستصبح رملا ً.

حادي عشر: الدروس والعبر والتوجيهات المستنبطه من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أحب الله الذي يتكفل بأمري ويعطيني الطمأنينة بأنه سينتقم لي.
· المحرك العقلي: أدرك أن إمهال الظالم هو تمحيص لي، فلماذا أنهار وأنا أعلم سر الله؟
· المحرك الإرادي: أتعهد ألا أشغل بالي بمن ظلمني، وألا أرد الإساءة بإساءة.
· المحرك العملي: أبدأ اليوم بتطبيق التفويض العملي: أول من يسيء إلي، أقول "ذرني" في سري، وأمضي.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا للظلم: من مأساة مدمرة إلى اختبار للصبر ورفع للدرجات.
· تغير نظرتنا لأصحاب النعم: من حسد وغبطة إلى خشية وشفقة) لأن حسابهم عسير.(
· تغير نظرتنا للإمهال: من شعور باليأس إلى يقين بأن الله يستدرجهم.
· تغير نظرتنا للزوال: كل شيء يزول، فلا نتعلق بالدنيا.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.1درس: لا تشغل بالك بأعدائك، فوّضهم لله
· العبرة: الانشغال بالانتقام يضيع الوقت والطاقة، والله أحكم وأرحم.
· التطبيق: تعلم تقنية "ذرني" نفسياً: عندما تفكر في شخص ظلمك، توقف عن التفكير وقل "ذرني" ، ثم انشغل بعبادة أو عمل مفيد.
.2درس: النعمة اختبار، لا علامة تفضيل
· العبرة: الغنى ليس دليلا ً على حب الله لهذا العبد، بل قد يكون استدراجاً وتمكيناً للاختبار.
· التطبيق: إذا رزقك الله بمال أو جاه، ازدد تواضعاً، وتذكر هذه الآية: "والمكذبين أولي نعمة" .لا تكن منهم.
.3درس: ثبات الحق لا يعرف بالغلبة الظاهرية
· العبرة: قد ينتصر الباطل في الظاهر، ولكن العاقبة للمتقين.
· التطبيق: لا تخف أبداً من كثرة المترفين حولك، فما هم إلا "أولي نعمة" زائلة، وعند الله "أنكال وجحيم".
.4درس: تذكر يوم تزول الجبال
· العبرة: أشد ما يغر الإنسان هو "ثباته" في الدنيا .تذكر زوال الجبال يقتل هذا الغرور.
· التطبيق: اقرأ هذه الآية كل أسبوع، وتأملها .اجعلها تخفف من تعلقك بالدنيا.

رسالة الختام
هذه الآيات (11-14) هي "تحول درامي" في السورة. السورة بدأت بنداء "يا أيها المزمل" (أمر بالقيام) ، ثم ذكرت السبب (القول الثقيل)، ثم وصفت الاستعداد (الليل والترتيل)، ثم أمرت بالصبر والتبتل. وا لآن، تأتي مرحلة المواجهة و التمحيص الإلهي.

الانتقال الذي أشرت إليه دقيق جداً:

· الآيات8) -(10: أمر النبي بالصبر والهجر الجميل.
· الآيات11) -(14: إعلام النبي بأن الله هو المنتقم، وأنه سيبلي المترفين بلاءً حسناً، ويمتحن المؤمنين ليميز الخبيث من الطيب .من صبر واحتمل الأذى محبةً في الله وخوفاً منه، أبدله الله خوفاً أمناً، وذ لا ً عزة، وكرامةً ونعماً .ومن تخاذل وتساقط، فلن ينفعه أحد.

والخلاصة:

· لا تخف من كثرة "أولي نعمة" حولك، فهؤلاء يغترون بأموالهم ويحتقرونك بعيونهم.
· لا تظن أن إمهالهم هو كرامتهم عند الله، بل هو استدراج وتمحيص لك.
· اصبر على أذاهم، واحتسب الألم في الله، وتأكد أن الله سيبذل الخوف أمناً والذل عزة.
· وتذكر دائماً: الجبال التي يرون أنفسهم عليها ستصبح يوماً كثيباً مهيلاً، فمن ذا الذي ينجو يومها ؟!

والآن، بعد أن عرفت حقيقة "أولي النعمة" وحقيقة "التمحيص" ووعد الله للصابرين، هل تغيرت نظرتك لمن آذاك؟ وهل أصبحت أكثر استعداداً للصبر والاحتساب؟

المبحث الثاني

تفسير الآيتين (15-16).

أولاً: نظرة عامة وتمهيدية للآيات (15-16) من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآيات

بعد أن هدد الله المكذبين من المترفين في الآيات السابقة (11-14) وذكر ما لديهم من أنكال وجحيم وعذاب أليم، ينتقل الخطاب الآن إلى تذكير جميع الناس بنعمة الله العظمى: إرسال الرسول محمد ﷺ. وكأن الله يقول: "يا أيها الناس، إذا كنتم لا تخافون الوعيد الذي ذكرته لكم، فاعلموا أنني أرسلت إليكم رسولاً شاهداً عليكم، كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً. فانظروا كيف كان عاقبة من كذب". ثم يضرب المثل الأعلى بالطاغية الأكبر: فرعون. يذكرهم الله بعاقبة فرعون حين كذب الرسول، وكيف أنه لم يكتف بالتكذيب بل عاقب الرسول "فأخذناه أخذاً وبيلاً". هذا فيه إنذار شديد لقريش ومن على شاكلتهم: إذا ظننتم أنكم أقوى من فرعون وجنوده، فقد كان فرعون أقوى منكم، ومع ذلك لم تنفعه قوته.

الأمر الثاني: دلالة الانتقال من الآيات (11-14) إلى الآيات (15-16)

هذا الانتقال يحمل عدة دلالات بالغة الأهمية:

1. من التهديد العام إلى التذكير بالتاريخ: الآيات السابقة كانت وعيداً بالمستقبل) أنكال وجحيم(، وهذه الآيات تذكر بعبرة الماضي) عاقبة فرعون .(الماضي والمستقبل كلاهما في قبضة الله.
2. من التهديد المجرد إلى المثل المحسوس: بدلاً من أن يبقى الوعيد نظرياً، يأتي المثال التاريخي لفرعون، أشد الطغاة وأقواهم، لينظر المكذبون فيعوا ويعتبروا.
3. تثبيت قلب النبي ﷺ: بعد أن أمر بالصبر على أذى المترفين، يأتي هذا التذكير بأن الله معه، وأن عاقبة الظالمين مهما كانوا أقوياء هي الهلاك، كما حدث مع فرعون.
4. إقامة الحجة على قريش: قريش كانت تعرف قصص الأمم السابقة، وتفتخر بمعرفتها .فالله يذكرهم بما يعرفونه ليقطع عذرهم.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية (15-16)

1. إرسال الرسول شاهداً) إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم(: تذكير الناس بأن النبي محمد ﷺ ليس مجرد نذير، بل هو شاهد على أعمالهم يوم القيامة.
2. المقارنة مع إرسال موسى إلى فرعون) كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً(: وضع الحدث النبوي في سياق تاريخي من الرسالات السابقة.
3. تمرد فرعون وتكذيبه) فعصى فرعون الرسول(: ليس فقط كذب، بل عصى وتكبر وتمرد.
4. العاقبة الإلهية) فأخذناه أخذاً وبيلاً(: الله أخذه أخذ عزيز مقتدر، عقاباً شديداً أليماً.

الأمر الرابع: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

1. الهدف الأول: تذكير الناس بنعمة الرسالة العظمى
· الغرض: "إنا أرسلنا إليكم رسولاً" أي هذه نعمة من الله تستحق الشكر .الهدف هو تحويل نظر الناس من ملذات الدنيا إلى النعمة الكبرى: وجود نبي يهديهم.
· المقصد: شكر النعمة بالإيمان والطاعة.
2. الهدف الثاني: إقامة الحجة على المكذبين بأنهم لا عذر لهم
· الغرض: "شاهداً عليكم" أي سيشهد يوم القيامة بأنكم بلغتم فكذبتم .الهدف هو قطع كل حجة للمكذبين.
· المقصد: ألا يقولوا يوم القيامة "ما جاءنا من بشير ولا نذير".

.3الهدف الثالث: تقديم نموذج تاريخي للعاقبة) فرعون(
· الغرض: "كما أرسلنا إلى فرعون رسولا " أي هذا نهج الله الثابت في الأمم .الهدف هو إيقاظ العقول بالعبرة.
· المقصد: أن يعتبر المكذبون بعاقبة من سبقهم.
.4الهدف الرابع: تحذير الطغاة من مغبة الكبر والعناد
· الغرض: "فعصى فرعون الرسول" أي لم يكتف بالتكذيب بل تعداه إلى العصيان والتمرد .الهدف هو زجر كل طاغية متكبر.
· المقصد: ردع الكبراء والمترفين عن التمادي في طغيانهم.
.5الهدف الخامس: طمأنة النبي والمؤمنين بأن النصر آتٍ
· الغرض: "فأخذناه أخذا وبيلا " أي بعد كل هذه القوة والجبروت، أهلكناه .الهدف هو تثبيت قلب النبي ﷺ.
· المقصد: ألا يحزن النبي على تكذيب قريش، فالعاقبة للمتقين كما حدث مع فرعون.
.6الهدف السادس: كسر وهم القوة عند المترفين
· الغرض: كان فرعون أقوى من أي ملك في قريش، ومع ذلك لم تنفعه قوته .الهدف هو تحقير قوة المترفين في أعينهم.
· المقصد: ترويض النفس على عدم الخوف من بطش الأقوياء.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآيات (سورة المزمل 15-16)

الآية الخامسة عشرة: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "إِنَّا أَرْسَلْنَا": تأكيد بإنّ، وفعل ماض للدلالة على أن الإرسال قد تم وتحقق.
· "إِلَيْكُمْ": الخطاب لجميع الناس، وخاصة قريش والمشركين.
· "رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ": أي يشهد على أعمالكم يوم القيامة، ويشهد بأنه بلغكم الرسالة فكذبتم.
· "كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا": تشبيه الإرسال إلى قريش بالإرسال إلى فرعون، ليس في حقيقة المرسل إليهم، بل في سنة الله في إرسال الرسل وإنذار الأمم.

لماذا اختار الله فرعون بالذات كمثال؟
لأن فرعون كان أشد طغاة الأرض كفراً وتكبراً وأكثرهم قوة وجبروتاً. فإذا كان الله قد أهلكه مع كل هذه القوة، فقريش من باب أولى. وفيه تثبيت لقلب النبي ﷺ بأنه ليس بدعاً من الرسل.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: تطمين للمؤمنين: سنة الله واحدة، والله مع رسله .فلا تخافوا من كثرة المترفين.
· الرسالة التربوية: التربية على أخذ العبرة من التاريخ .الماضي يعلم الحاضر.
· الرسالة الفكرية: إقامة الحجة العقلية على قريش: أنتم تعلمون قصة فرعون، فلماذا لا تعتبرون؟
· الرسالة العملية: ادرس قصص الأمم السابقة في القرآن، واستخرج الدروس والعبر لحياتك.

الآية السادسة عشرة: (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ": العصيان هنا أعم من التكذيب؛ فهو تشدد في الكفر، وتكبر، وتمرد، ومحاربة للرسول وآياته.
· "فَأَخَذْنَاهُ": الأخذ هنا بمعنى الإهلاك والعقاب الشديد.
· "أَخْذًا وَبِيلًا": الوَبَل: الشدة والثقل .أي أخذاً شديداً أليماً .وهو مصدر مؤكد يدل على المبالغة.

ما معنى "عصى" بدلاً من "كذب"؟
لأن فرعون لم يكتف بتكذيب موسى، بل تجاوز ذلك إلى العصيان، أي مخالفة الأمر، وطلب الرؤية، وتعذيب بني إسرائيل، ومحاولة قتل موسى. العصيان أشد من التكذيب، وهو يدل على التمرد والعناد.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: زرع الخوف في قلوب المكذبين: إن كنتم مثل فرعون في الكبر والعصيان، فستكون عاقبتكم مثل عاقبته.
· الرسالة التربوية: التربية على التواضع وعدم التكبر .فرعون قال "أنا ربكم الأعلى" فكانت عاقبته أن أغرقه الله.
· الرسالة العقلية: العبرة بالعواقب .فرعون كان أقوى الناس، فلم تنفعه قوته .فلا تغتر بقوتك على ضعفاء عباد الله.
· الرسالة العملية: كلما شعرت بنزعة كبر في نفسك، تذكر "أخذاً وبيلا ً" .وتذكر أن الكبر رداء الله، فمن نازعه فيه قصمه.

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

.1تصوير الرسول "شاهداً عليكم": صورة قوية، كأن الرسول يقف أمام الله ويشهد: "هؤلاء بلغتهم فعصوني" .هذا التصوير يضع القارئ أمام مسؤولية مباشرة.
.2تصوير الإرسال إلى قريش كالإرسال إلى فرعون) كما(: تشبيه يربط بين حدثين تاريخيين ليكسر وهم التفرد .كل الأمم أرسل إليها رسل.
.3تصوير "عصى" كفعل تجاوز:
· السر البلاغي: اختيار كلمة "عصى" بدلا ً من "كذب" يرسم صورة فرعون كطاغية متمرّد، ليس مجرد كافر عادي.
.4تصوير "الأخذ الوبيل": إضافة "وبيلا ً" تصف الأخذ بأنه ثقيل شديد، كأن العذاب ينزل بكل ثقله على فرعون دفعة واحدة.

أغراض هذا التصوير البياني:

· جعل العبرة حاضرة في الأذهان.
· تحويل القصة التاريخية إلى درس حي للمعاصرين.
· إظهار عدل الله وسنته الثابتة في الأمم.

رابعاً: الأبعاد البيانية والبلاغية والتربوية وكيفية تحويلها لمحرك سلوكي

أولا ً: الأبعاد البيانية والبلاغية

.1التشبيه المرسل) كما أرسلنا(:
· البعد: ربط الحاضر بالماضي لتأكيد سنة الله.
· السر البلاغي: إقامة الحجة على قريش بأنهم ليسوا أول من كذب رسولا ً، فالعبرة بمن سبقهم.
.2التعبير بـ "شاهداً" بدلا ً من "نذيراً" أو "بشيراً":
· البعد: الشاهد له معنى أوسع؛ فهو يشهد بالإيمان لمن آمن، وبالكفر لمن كفر.
· السر البلاغي: وضع المخاطب في موقف المسؤولية أمام الله.
.3الانتقال من "أرسلنا" إلى "عصى" إلى "أخذنا":
· البعد: تسلسل زمني دقيق: الإرسال ← العصيان ← الأخذ.
· السر البلاغي: إظهار عدل الله: لم يأخذهم إلا بعد أن أرسل وأعذر.
.4التوكيد بالمصدر) أخذاً وبيلا ً(:
· البعد: تكرار الفعل في صيغة المصدر للتأكيد والمبالغة.
· السر البلاغي: إرهاب قلوب الكافرين بأن عذاب الله ليس سهلا ً، بل "وبيل".

ثانياً: الأبعاد التربوية

.1تربية "الاعتبار بالتاريخ": المؤمن يتعلم من قصص السابقين .لا يكرر أخطاءهم.
.2تربية "مسؤولية الشهادة": كل من بلغته الرسالة، النبي شاهد عليه .فلا عذر له يوم القيامة.
.3تربية "عدم الغرورة بالقوة": قوة فرعون لم تنفعه، فقريش وغيرها من باب أولى.
.4تربية "الصبر في الدعوة": موسى صبر على فرعون طويلا ً، والنبي ﷺ يصبر على قريش.
.5تربية "اليقين بالنصر": العاقبة للمتقين، والله آخذ الكافرين أخذ عزيز مقتدر.

ثالثاً: التحويل إلى محرك سلوكي

.1مبدأ "الشاهد في حياتي") استشعار الرقابة(:
· المحرك: تذكر أن النبي ﷺ شاهد عليك، وأن الله مطلع عليك.
· السلوك: قبل أن تفعل أي معصية، قل لنفسك: "النبي شاهد عليّ، فكيف أفعله وهو يراني؟".
.2مبدأ "العبرة بفرعون") كسر الغرور(:
· المحرك: كلما شعرت بالكبر أو التفوق على الآخرين، تذكر فرعون.
· السلوك: اقرأ قصة فرعون في المصحف مرة كل شهر .واستخرج منها درساً حول "الكبر" و "العاقبة".
.3مبدأ "سنة الله الثابتة") اليقين في النصر(:
· المحرك: تيقن أن سنة الله واحدة: النصر للمؤمنين في النهاية.
· السلوك: إذا طال عليك البلاء، تذكر أن فرعون طال ملكه ثم أهلكه الله .لا تيأس.
.4مبدأ "أخذاً وبيلا ً") ردع النفس(:
· المحرك: كلما هممت بذنب، تذكر "أخذاً وبيلا ً".
· السلوك: صمم "بطاقة تذكير" صغيرة مكتوب عليها "فأخذناه أخذاً وبيلا ً" .ضعها في مكان بارز)جدار غرفتك، مكتبك.(

خامساً: أهم الدلالات من الآية وكيف نفهم الآية فهماً عميقاً

أولا ً: دلالات تتجاوز اللفظ إلى العمق

.1دلالة "شاهداً عليكم") الرسول بين يدي الله(:
· الدلالة العميقة: يوم القيامة، سيكون النبي ﷺ شاهداً .هذا يعني أن أعمالنا مكشوفة أمام أعلى سلطة .المؤمن يفرح بشهادة النبي له، والكافر يحزن.
.2دلالة "كما أرسلنا") تكرار النموذج(:
· الدلالة العميقة: ليس هناك أمة شذت عن سنة الابتلاء .كل أمة أرسل إليها رسول، فمن آمن نجا، ومن كذب هلك .هذا يمنح المؤمن شعوراً بالانتماء إلى سلسلة النبوة الطويلة.
.3دلالة "فعصى") التمرد على الحقيقة(:
· الدلالة العميقة: فرعون لم يجهل موسى، بل عرفه وعاند .كثير من الناس يعرفون الحق ويعاندون .الآية تحذر من هذه الحالة.
.4دلالة "أخذاً وبيلا ً") سقوط الأوثان(:
· الدلالة العميقة: كل ما يعتز به الإنسان من قوة وجاه ومال هو "وثن" قد يسقط .الأخذ الوبيل هو سقوط كل هذه الأوثان دفعة واحدة.

ثانياً: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً (أسئلة المحرك)

.1في مواجهة "شاهداً عليكم": هل أنا مستعد للقاء النبي ﷺ وهو يشهد عليّ؟ ماذا سيشهد عني؟ إيماناً أم كفراً؟
.2في مواجهة "كما أرسلنا": ما هي أوجه الشبه بين قريش وفرعون؟ هل أرى في نفسي شيئاً من صفات فرعون؟
.3في مواجهة "فعصى": هل أنا في لحظات ضعفي أعصي أمر الله وأنا أعلمه؟ هل عندي "فرعونية" صغيرة في داخلي؟
.4في مواجهة "أخذاً وبيلا ً": ما الذي أخاف من فقدانه في حياتي) مال، جاه، صحة(؟ هل هو شيء لو فقدته سأندم؟ لماذا لا أستعد لله قبل فوات الأوان؟

ثالثاً: المعادلة السلوكية للآيات

)الإيمان بأن الله أرسل رسولا ً شاهداً) + (الاعتبار بفرعون وعدم تكرار عصيانه) = (اليقين بأن الأخذ الوبيل عاقبة كل طاغية.(

سادساً: علاقة هذه الآيات بمعنى التمحيص والابتلاء

كما أسلفنا في الآيات السابقة (11-14) أن هذه مرحلة تمحيص وابتلاء، تأتي هذه الآيات لتؤكد:

أولا ً: الابتلاء سنة إلهية في كل الأمم:

"كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ً" يعني أن قريشاً تمر بنفس الامتحان الذي مرت به الأمم السابقة. هل سيؤمنون أم سيكذبون؟ هذا هو التمحيص.

ثانياً: العصيان هو نتيجة التمحيص للخبيث:
فرعون عندما جاءه الرسول، أظهر ما في داخله من كبر وطغيان. وكذلك صناديد قريش، سيظهر ما في قلوبهم من كبر وحسد. التمحيص يخرج الخبيث إلى السطح.

ثالثاً: الأخذ الوبيل هو نتيجة التمحيص للكافرين:
الذين يفشلون في اختبار الإيمان، يكون مصيرهم "أخذاً وبيلا ً". والذين يصبرون ويثبتون، يكون مصيرهم النصر والتمكين.

رابعاً: تثبيت المؤمنين بأن ما يمرون به ليس بدعاً:
موسى عليه السلام عانى من فرعون، والنبي ﷺ يعاني من قريش. هذا يريح قلوب المؤمنين بأنهم على نفس الطريق، وأن النصر آتٍ كما أتى لموسى.

سابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

· خاطرة "الرسول شاهد على حياتي": تخيل أن النبي ﷺ جالس في غرفتك، يراقب كل ما تفعل .هل ستتصرف كما تتصرف الآن؟ هذه الخاطرة تغير السلوك فوراً.
· خاطرة "التاريخ يعيد نفسه": ما حدث مع فرعون سيحدث مع كل طاغية .لا تنظر إلى قوة الظالمين اليوم، فقوتهم واهية كقوة فرعون.
· خاطرة "عصيان فرعون: درس في التمرد": أخطر أنواع الكفر هو أن تعرف الحق وتعصيه بوعي .هل أعصي الله وأنا أعلم؟
· خاطرة "الأخذ الوبيل: مفاجأة العذاب": فرعون ظن نفسه في قمة الأمان، فجاءه الغرق .الأخذ الوبيل يأتي بغتة.

كيفية الاستفادة العملية:

· اربط هذه الآيات بسيرتك الذاتية: اكتب قصة "فرعون حياتك") الشخص الذي ظلمك أو الطاغية الذي تخافه .(ثم اكتب "الأخذ الوبيل" الذي حل به أو سيحل به بأمر الله.
· اجعل من كل صلاة فرصة لتذكر أن النبي ﷺ شاهد عليك في تشهدك) لأنك تصلي على النبي في التشهد.(

ثامناً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية في بناء أنفسنا

.1وقفة "الشهادة الذاتية": لو طلب منك اليوم أن تكتب شهادة النبي ﷺ عنك، ماذا ستكتب؟ جرب أن تكتب: "هذا العبد كان يصلي، كان يذكر الله، كان صبوراً..." أو تكتب العكس .هذه الوقفة مؤلمة ولكنها صادقة.
.2وقفة "فرعون داخلي": ابحث في داخلك عن أي "فرعونية صغيرة": كبر، استعلاء، رفض للنصيحة، تعذيب للنفس أو للآخرين بالكلمات .تخلص منها.
.3وقفة "تقاطع التاريخ": اقرأ قصة فرعون كاملة في سورة القصص أو الأعراف، ثم قارنها بواقع قريش مع النبي ﷺ .ثم قارنها بواقعك أنت مع أوامر الله .أين أنت من هذه المعادلة؟
.4وقفة "تحضير الجواب": إذا سألك الله يوم القيامة: "ألم أرسل إليك رسولا ً؟" فماذا ستقول؟ جهز جوابك اليوم بالإيمان والعمل الصالح.

تاسعاً: أبعاد وآفاق الآية

· البعد العقدي: إثبات نبوة محمد ﷺ، وأنه مرسل من الله كما أرسل موسى إلى فرعون.
· البعد التاريخي: ربط الأحداث الإسلامية بالتراث النبوي السابق، لتأكيد الوحدة الدينية.
· البعد النفسي: علاج الخوف من الطغاة بتذكيرهم بأن الله أخذ فرعون أخذاً وبيلا ً.
· البعد التربوي: تعليم المؤمن أن يأخذ العبرة من الماضي، ولا يكرر أخطاء الهالكين.
· البعد الدعوي: إقامة الحجة على المشركين بشيء يعرفونه) قصة فرعون.(

عاشراً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآيات

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "الرسول الشاهد": النبي ليس فقط مبلغاً، بل شاهد على أمته.
.2مفهوم "سنة الإرسال": كل أمة بعث الله إليها رسولا ً.
.3مفهوم "العاقبة الإلهية": لا مهرب من أخذ الله للظالمين.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· الإيمان بالرسل جزء من العقيدة.
· التاريخ يعلمنا الحاضر.
· لا تغتر بقوة الظالم، فعاقبته الأخذ الوبيل.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: التطمين بأن الله لم يترك الناس بلا حجة.
· الفكري: كسر وهم التفرد) أنت لست أول مكذب.(
· التربوي: الاعتبار والاتعاظ بقصص السابقين.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة

· القائد يتعلم من التاريخ: القائد الناجح لا يكرر أخطاء من سبقه .يدرس أخطاء فرعون) الكبر، العناد، قتل الضعفاء (ويتجنبها.
· القائد يدرك أن الله شاهد عليه: مهما كانت سلطته، هناك شاهد أعلى منه) النبي ﷺ ثم الله .(هذا يردعه عن الظلم.
· القائد لا يغتر بقوته: أقوى الناس) فرعون (أهلكه الله .القوة الحقيقية هي قوة الإيمان والتواضع.
· القائد يثق في نصر الله: كما نصر الله موسى على فرعون، سينصر الله عباده المؤمنين على أي طاغية.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآيات

· التنمية الفكرية: تنمية القدرة على التفكير التاريخي والاستدلال بالماضي.
· التنمية الأخلاقية: تنمية التواضع ومحاربة الكبر.
· التنمية الروحية: تنمية اليقين بعدل الله وسننه.

الأمر السادس: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء

· حوّل "شاهداً عليكم" إلى برنامج محاسبة ذاتية: كل ليلة، اسأل نفسك: "لو كان النبي ﷺ معي اليوم، ماذا كان سيقول عن تصرفاتي؟"
· حوّل "فرعون" إلى مثال سلبي تبتعد عنه: كلما شعرت بالكبر، تذكر فرعون وقوله "أنا ربكم الأعلى".
· حوّل "الأخذ الوبيل" إلى دافع للطاعة: تذكر أن العصيان يؤدي إلى عاقبة وخيمة، فابتعد عن المعاصي.

حادي عشر: الدروس والعبر والتوجيهات المستنبطه من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أحب الله الذي أرسل إليّ رسولا ً ليهديني، ولم يتركني في ضلالي.
· المحرك العقلي: أدرك أن التاريخ يعيد نفسه، فلا أكرر أخطاء فرعون.
· المحرك الإرادي: أتعهد ألا أعصي الله كما عصى فرعون، وأن أكون من الشاكرين للنعمة.
· المحرك العملي: أبدأ اليوم بدراسة سيرة النبي ﷺ لأعرف شهادته عني، وأقرأ قصة فرعون لأتجنب أخطاءه.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا للنبي ﷺ: من شخصية تاريخية إلى شاهد حي على أعمالنا.
· تغير نظرتنا للتاريخ: من قصص مسلية إلى دروس وعبر.
· تغير نظرتنا للقوة: من مصدر فخر إلى مصدر فتنة قد تؤدي إلى الهلاك.
· تغير نظرتنا للعصيان: من أمر بسيط إلى سلوك فرعوني خطير.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.1درس: نعمة الرسالة أعظم نعمة
· العبرة: وجود نبي يهدينا إلى الله هو أعظم نعمة أنعمها الله علينا .فلماذا نكفر بها؟
· التطبيق: احمد الله كل يوم على نعمة الإسلام والرسول .قل: "الحمد لله الذي أرسل إلينا رسولا ".
.2درس: لا تكرر أخطاء فرعون
· العبرة: فرعون كفر بعد أن عرف، واستكبر بعد أن أرسل إليه .تجنب هذه الأخطاء.
· التطبيق: كلما أتتك نصيحة، لا ترفضها بكبر .كلما عرفت حكماً، لا تعصِه .تواضع لله.
.3درس: لا تغتر بقوتك
· العبرة: فرعون كان له جنود وخزائن وعرش، فلم تنفعه .قوتك الحقيقية هي قوة إيمانك.
· التطبيق: قيّم نفسك: هل أنت متعلق بقوتك) مالك، منصبك، جاهك(؟ تذكر أنها زائلة.
.4درس: النصر يأتي بعد الصبر
· العبرة: موسى صبر على فرعون سنين، ثم جاء النصر .فلا تيأس من طول البلاء.
· التطبيق: إذا طال بك البلاء من ظالم، تذكر قصة موسى وفرعون .استمر في الدعاء والصبر.

رسالة الختام
هذه الآيات (15-16) هي جسر بين الماضي والحاضر، و حلقة وصل بين قصة فرعون وقصة قريش.

الخلاصة التي تقدمها لنا:

· لقد أرسل الله إليكم محمداً ﷺ كما أرسل موسى إلى فرعون .هذه نعمة عظمى.
· هذا الرسول سيكون شاهداً عليكم يوم القيامة، فإما أن يشهد لكم بالإيمان، أو عليكم بالتكذيب.
· فرعون عصى الرسول فكان جزاؤه "أخذاً وبيلا " .فاحذروا أن تكونوا مثله.
· إن سنة الله واحدة في الأمم، فمن كذب الرسول هلك، ومن آمن نجا.

ما بعد هذه الآيات:
لقد انتقلنا من مرحلة:

· الأمر بالاستعداد) قيام الليل (←
· إلى مرحلة بيان السبب) القول الثقيل (←
· إلى مرحلة وصف البيئة) الليل أشد وطئاً (←
· إلى مرحلة الأمر بالصبر والتبتل ←
· إلى مرحلة التهديد للمترفين ←
· إلى مرحلة التذكير بقصة فرعون.

وهذا كله يبني في المؤمن ثلاث قناعات راسخة:

.1ربك معك فلا تخف.
.2الطريق واضح فلا تضل.
.3العاقبة للمتقين فلا تيأس.

والآن، بعد أن تذكرت أن النبي ﷺ شاهد عليك، وأن قصة فرعون عبرة لك، هل ستغير في سلوكك اليومي شيئاً؟ وهل أعددت جواباً لسؤال الله: ألم أرسل إليك رسولا ً؟
المبحث الثالث
تفسير الآيات (17-19).

أولا ً: نظرة عامة وتمهيدية للآيات (17-19) من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآيات
بعد أن ذكر الله في الآيات السابقة (11-16) وعيده للمكذبين من المترفين، وضرب لهم المثل بفرعون وعاقبته، ينتقل الآن إلى سؤال استنكاري رهيب يوجهه إلى جميع الكافرين، ثم يختم بالآية التي تجمع خلاصة الرسالة. هذه الآيات هي بمثابة "صاعق" يوقظ الغافلين، و"منطق" يقطع كل حجة، و "تذكير" لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الآية (17) تسألهم: كيف تتوقون أن تنجوا من عذاب يوم القيامة إذا كفرتم بالله؟ إنه يوم عظيم شديد هائل، لدرجة أنه يجعل الأطفال شيباً من هوله. الآية (18) تصف هذا اليوم بأن السماء ستتفطر (تتصدع وتنشق) فيه، ووعد الله آتٍ لا محالة. ثم تأتي الآية (19) كخلاصة ونتيجة لكل ما سبق في السورة: هذه الآيات التي تتلى عليكم هي "تذكرة" و"موعظة". فمن شاء أن يتعظ ويتذكر ويتوب، فله أن يسلك الطريق إلى ربه بطاعته وامتثال أوامره.

الأمر الثاني: دلالة الانتقال من الآيات (15-16) إلى الآيات (17-19)
هذا الانتقال بالغ الأهمية ويمثل ذروة السورة:

· الآيات15) -(16: ذكرت العبرة من الماضي) قصة فرعون.(
· الآيات17) -(19: تنتقل إلى التهديد بالمستقبل) أهوال يوم القيامة.(
· المغزى العميق: إذا لم تعتبروا بمن سبقكم من الهالكين، فاسمعوا عن يوم القيامة الذي لا مفر منه . الماضي والمستقبل كلاهما في قبضة الله، ولا مناص من لقائه.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية (17-19)

.1السؤال الاستنكاري الرهيب) فكيف تتقون(: استفهام إنكاري بمعنى: "كيف ترجون النجاة؟" إنه توبيخ وتهديد.
.2هول يوم القيامة) يوماً يجعل الولدان شيباً(: تصوير مرعب لهول ذلك اليوم، حتى الأطفال تصغرهم الهول فتشيب رؤوسهم.
.3انشقاق السماء) السماء منفطر به(: السماء التي نراها صلبة ومتماسكة، ستتصدع وتنشق لعظمة هذا اليوم.
.4تحقق الوعد الإلهي) كان وعده مفعولا ً(: تأكيد أن ما وعد الله به من بعث وحساب وجزاء، لا بد أن يقع.
.5خلاصة الرسالة) إن هذه تذكرة(: كل ما سبق في السورة هو تذكير وموعظة لمن يريد أن يتعظ.
.6الطريق إلى الله) فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ً(: إعلان حرية الاختيار: من أراد الهداية فليتبع سبيل الله، ومن أراد الضلالة فليتحمل العواقب.

الأمر الرابع: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

.1الهدف الأول: زرع الرهبة من يوم القيامة في قلوب الغافلين
· الغرض: وصف هول اليوم بأنه يشيب الأطفال، ليدرك الكافر كم هو عظيم .الهدف هو كسر الغفلة وإيقاظ الخوف.
· المقصد: ردع الناس عن المعاصي بتذكيرهم بيوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
.2الهدف الثاني: إثبات أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا
· الغرض: إذا كنتم تخافون من بطش فرعون وقريش، فكيف تنسون عذاب يوم القيامة؟ الهدف هو مقارنة بين عذاب الدنيا) المحدود (وعذاب الآخرة) العظيم.(
· المقصد: تحويل خوف الناس من ظلم البشر إلى خوف من الله القادر على كل شيء.
.3الهدف الثالث: إظهار عظمة الله وقدرته على تغيير الكون
· الغرض: السماء منفطرة، أي تتشقق وتتصدع .الهدف هو إظهار أن الأجرام الكونية العظيمة تخضع لأمر الله.
· المقصد: إقناع العقل بأن من يقدر على تشقق السماء يقدر على بعث الخلق وحسابهم.
.4الهدف الرابع: تحويل القرآن من "كلام يُتلى" إلى "تذكرة فعالة"
· الغرض: "إن هذه تذكرة" أي أن هذه السورة وما فيها من أوامر ونواهي ووعيد هي ذكرى وموعظة.
· المقصد: ألا يمر المؤمن على الآيات مروراً عابراً، بل يتوقف ويتدبر ويتعظ.
.5الهدف الخامس: إعلان مبدأ حرية الاختيار مع تحمل المسؤولية
· الغرض: "فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ً" أي الطريق مفتوح للجميع، فمن أراد الإيمان فليؤمن،

ومن أراد الكفر فليكفر، ولكن عليه عاقبة اختياره.
· المقصد: قطع العذر بأن الجبر هو الذي أوقعهم في الكفر .هم مختارون ومسؤولون.
.6الهدف السادس: إظهار رحمة الله في فتح باب التوبة
· الغرض: "اتخذ إلى ربه سبيلا " يعني أن الطريق إلى الله ميسر ومفتوح، لا عوائق فيه إلا التي يضعها الإنسان بنفسه.
· المقصد: تحفيز العاصي على الرجوع إلى الله، مهما كانت ذنوبه.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآيات (سورة المزمل 17-19)

الآية السابعة عشرة: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلدَانَ شِيبًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "فَكَيْفَ تَتَّقُونَ": استفهام بمعنى الإنكار والنفي .أي: كيف تنجون من العذاب؟ أو كيف تمنعون أنفسكم منه؟
· "إِنْ كَفَرْتُمْ": إن الشرطية .أي إذا استمررتم على كفركم.
· "يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلدَانَ شِيبًا": يوم القيامة، من شدة هوله وشدته، فإن الأطفال الصغار تصير رؤوسهم شيباً) بيضاء (من الفزع .وقيل: هو كناية عن طول ذلك اليوم وشدة كربته، حتى أن الشيب يعتري الصغار قبل الكبار.

لماذا خص "الولدان" بالذكر؟
لأن الطفل لا ذنب له، ولا همومه كهموم الكبار، ومع ذلك يشيب من هول الموقف. فكيف بمن له ذنوب وأوزار؟! هذا أبلغ في التخويف.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: زرع الخوف العميق في النفس .ليس خوفاً عادياً، بل خوفاً يصل إلى درجة أن يتخيل القارئ الطفل وهو يشيب .هذا يزعزع الغفلة.
· الرسالة التربوية: التربية على "استحضار اليوم الآخر" .المؤمن الحقيقي هو من يعيش وكأنه يرى القيامة بعينيه.
· الرسالة الفكرية: كسر وهم الأمان .الإنسان مهما كان قوياً أو غنياً أو صغيراً، لا مفر له من هذا اليوم.
· الرسالة العملية: اجعل لهذا اليوم ورداً يومياً في تفكيرك .اقرأ وصف القيامة في القرآن، وتأمل كيف سيكون حالك فيه.

الآية الثامنة عشرة: (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ": السماء متشققة ومتصدعة من شدة هول ذلك اليوم .و "به" أي بسبب ذلك اليوم أو بسبب الله سبحانه لعظمته .أو الضمير يعود على الأمر أو على اليوم.
· "كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا": أي أن وعد الله بالقيامة والجزاء واجب الوقوع، لا محيد عنه ولا مفر.

لماذا وصف السماء بالانفطار تحديداً؟
السماء في الدنيا هي رمز القوة والثبات والتماسك. انفطارها يعني انهيار أقوى ما يعرفه الإنسان، وهذا يدل على أن زلزال القيامة يفوق كل تصور.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: حين يسمع الإنسان أن السماء التي لا تتزعزع ستنفطر، يشعر بأن لا ملجأ منه ولا مهرب .هذا الشعور يدفعه إلى التوجه إلى الله.
· الرسالة التربوية: التربية على اليقين بوعد الله .المؤمن لا يشك في أن يوم القيامة آتٍ، فيستعد له.
· الرسالة العقلية: العقل السليم يدرك أن من قدر على خلق السماء والحفاظ عليها، قادر على تفطيرها وإعادة خلقها.
· الرسالة العملية: استشعر في صلاتك وسجودك أن السماء ستنفطر يوماً، وأن كل ما تراه زائل .هذا

يزيد في خشوعك.

الآية التاسعة عشرة: (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ": هذه السورة وما فيها من آيات هي موعظة وعبرة وعظة تذكر الإنسان بما ينفعه ويضره.
· "فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا": من أراد الهدى والنجاة، فليسلك طريق الإيمان والطاعة الموصلة إلى ربه .والسبيل هو الطريق الواضح.

لماذا قال "تذكرة" ولم يقل "قرآنا"؟
لأن التذكرة أقوى تأثيراً في النفس. القرآن ليس مجرد كلام، بل هو صارخ في قلبك: "تذكر! تنبه! لا تغفل!"

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية من الآية:

· الرسالة النفسية: إزالة العذر: لقد ذكرتك، فلماذا تنسى؟ هذه الآية تضعك أمام مسؤوليتك الكاملة.
· الرسالة التربوية: التربية على "الإرادة الحرة" .أنت من تختار طريقك .لا أحد يجبرك على الكفر، ولا أحد يجبرك على الإيمان.
· الرسالة العقلية: العقل السليم إذا قدمت له التذكرة) الأدلة والمواعظ(، كان عليه أن يختار الطريق الصحيح .إن لم يختر، فهو ظالم لنفسه.
· الرسالة العملية: كل يوم، اسأل نفسك: هل اتخذت اليوم سبيلا ً إلى ربي؟ أم أنني سلكت سبيلا ً إلى غضبه؟

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

.1تصوير "الولدان شيباً": صورة متناقضة ومروعة .الطفل رمز الصغر والنضارة، والشيب رمز الكبر و الهرم .اجتماعهما في صورة واحدة يخلق أقصى درجات الرهبة.
.2تصوير السماء "منفطراً": السماء كالقبة الصلبة، انفطارها يعني تمزقها .هذه الصورة تجعل القارئ يشعر بأن الكون كله ينهار.
.3التدرج في التصوير: يبدأ بهول اليوم على البشر) الأطفال(، ثم ينتقل إلى هوله على الكون)السماء(، ثم يختم بفتح باب التوبة) فمن شاء .(من القمة إلى القمة.
.4ختم السورة بـ "اتخذ إلى ربه سبيلا ً": نهاية مفتوحة مليئة بالأمل .بعد كل هذا الترهيب، يفتح الله باب الرجوع.

أغراض هذا التصوير البياني:

· إيقاظ القلوب الميتة بهول المشاهد.
· إثبات عظمة الله وقدرته.
· الدفع إلى العمل الصالح قبل فوات الأوان.
· الجمع بين الخوف والرجاء) رهبة اليوم ثم فتح الطريق.(

رابعاً: الأبعاد البيانية والبلاغية والتربوية وكيفية تحويلها لمحرك سلوكي

أولا ً: الأبعاد البيانية والبلاغية

.1الاستفهام الإنكاري) فكيف تتقون(:
· البعد: استفهام ليس للطلب، بل للتوبيخ والتهديد.
· السر البلاغي: يضع المخاطب في موقف العاجز عن الإجابة، فيشعر بذنبه وضعفه.
.2صيغة المستقبل) يجعل(:
· البعد: الفعل المضارع يدل على الاستمرار والحدوث في المستقبل.
· السر البلاغي: يجعل مشهد القيامة حياً حاضراً، كأنه يحدث الآن أمام أعيننا.

.3الجملة الاسمية) السماء منفطر به(:
· البعد: الجملة الاسمية تفيد الثبات والاستقرار .أي أن السماء في حالة انفطار دائم في ذلك اليوم.
· السر البلاغي: تجعل وصف القيامة وكأنه حقيقة ثابتة لا تتغير.
.4الجملة الفعلية) كان وعده مفعولا ً(:
· البعد: كان هنا تفيد التحقق .أي أن وعد الله صار واقعاً محتوماً.
· السر البلاغي: إزالة أي شك أو ريب في وقوع القيامة.
.5الإشارة إلى السورة بـ "هذه") إن هذه تذكرة(:
· البعد: الإشارة للقريب تفيد الحضور والقرب.
· السر البلاغي: يجعل السورة حاضرة بين يدي القارئ، وكأنها تخاطبه مباشرة.

ثانياً: الأبعاد التربوية

.1تربية "الخوف المثمر": الخوف من الله ليس خوفاً يشل الحركة، بل خوفاً يدفع إلى العمل الصالح.
.2تربية "استحضار اليوم الآخر": عش كأنك ترى القيامة .هذا يغير سلوكك بالكامل.
.3تربية "حرية الاختيار": أنت مسؤول عن اختياراتك .لا تلومن إلا نفسك.
.4تربية "عدم اليأس": الطريق إلى الله مفتوح دائماً، فمن شاء فليتخذ سبيلا ً.

ثالثاً: التحويل إلى محرك سلوكي

.1مبدأ "تخيل المشهد") الولدان شيباً(:
· المحرك: تخيل نفسك في ذلك اليوم، وشعرك قد ابيض من الخوف.
· السلوك: قبل أن تنام، خصص 5 دقائق تتخيل فيها مشهد القيامة .هذا التخيل يجعلك أكثر استعداداً.
.2مبدأ "تذكر انفطار السماء") زوال الأمان(:
· المحرك: عندما تشعر بالأمان الزائف في الدنيا) مال، بيت، صحة(، تذكر أن السماء ستنفطر.
· السلوك: اربط كل نعمة تشعر بها بتذكر زوالها يوم القيامة .هذا يمنعك من التعلق الزائد بالدنيا.
.3مبدأ "التذكرة اليومية") القرآن حي(:
· المحرك: القرآن ليس كتاباً نقرأه ونغلقه، بل هو "تذكرة" مستمرة.
· السلوك: اقرأ آية واحدة من القرآن كل يوم بتدبر، وكررها في نفسك عدة مرات، وقل لنفسك: "هذه تذكرة لي اليوم".
.4مبدأ "اختيار السبيل") القرار الواعي(:
· المحرك: كل يوم تختار طريقاً .إما إلى الله، وإما إلى غيره.
· السلوك: ابدأ يومك بسؤال: "أي سبيل سأتخذ اليوم إلى ربي؟") قراءة قرآن؟ صلاة؟ صدقة؟ صلة رحم؟.(

خامساً: أهم الدلالات من الآية وكيف نفهم الآية فهماً عميقاً

أولا ً: دلالات تتجاوز اللفظ إلى العمق

.1دلالة "الولدان شيباً") انقلاب الموازين(:
· الدلالة العميقة: في الدنيا، الكبر هو الذي يشيب .أما في القيامة، فالهول هو الذي يشيب .هذا يعني أن قوانين الدنيا كلها تنقلب .فلا تطمئن إلى شيء فيها.
.2دلالة "السماء منفطر به") الكون كله يخضع(:
· الدلالة العميقة: السماء التي نعبد من تحتها، ونظنها ثابتة، ستنفطر .إذا كان الأمر كذلك، فمن أين لك الخلاص إلا بالله؟
.3دلالة "تذكرة") القرآن صارخ(:
· الدلالة العميقة: "تذكرة" ليست خبراً، بل هي "صفعة" يقظة .كل آية في القرآن هي منبه يهزك: "قم! استيقظ! لا تغفل!"
.4دلالة "فمن شاء") الحرية والمسؤولية(:
· الدلالة العميقة: لن يقول أحد يوم القيامة: "يا رب، أجبرتني على الكفر" .الآية تؤكد أنك صاحب ا لإرادة، وأنت من تختار سبيلك .فاختر.wisely

ثانياً: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً (أسئلة المحرك)

.1في مواجهة "يجعل الولدان شيباً": لو كنت طفلا ً صغيراً في ذلك اليوم، هل كنت ستشيب؟ ماذا سيكون حالي وأنا بالغ له ذنوب؟
.2في مواجهة "السماء منفطر به": ما هو أكثر شيء يمنحني الأمان في حياتي؟) بيتي؟ وظيفتي؟ أهلي؟ (ماذا لو انهار كل هذا كما تنفطر السماء؟
.3في مواجهة "تذكرة": هل أتعامل مع القرآن كتذكرة) أي منبه أستجيب له (أم ككتاب عادي أقرؤه ثم أنساه؟
.4في مواجهة "فمن شاء": هل أنا حر حقاً في اختياراتي؟ أم أنني أسير لعاداتي وشهواتي؟ ما هو السبيل الذي اخترته اليوم إلى ربي؟

ثالثاً: المعادلة السلوكية للآيات

)استحضار هول يوم القيامة) + (اليقين بأن القرآن تذكرة) = (اتخاذ سبيل إلى الله باختيار حر وواعي.(

سادساً: علاقة هذه الآيات بمعنى التمحيص والابتلاء

كما أشرنا سابقاً، هذه السورة تمثل مرحلة تمحيص وابتلاء. وهذه الآيات تأتي لتؤكد:

أولا ً: الابتلاء مستمر حتى يوم القيامة:
الدنيا كلها تمحيص واختيار. الإنسان يمتحن في كل لحظة: هل سيؤمن أم يكفر؟ هل سيتذكر أم يغفل؟ وهذه الآيات هي جزء من أدوات التمحيص (تخويف، تذكير، فتح باب).

ثانياً: التذكرة هي سلاح التمحيص:
الله يبتلي عباده بأن يرسل لهم "تذكرة" (القرآن). فمن تذكر وآمن واتخذ سبيلا ً، نجا في الامتحان. ومن أعرض وتولى، سقط.

ثالثاً: حرية الاختيار هي عين الابتلاء:
لولا حرية الاختيار، لما كان للابتلاء معنى. الآية "فمن شاء" تؤكد أن الإنسان مخير، وهذا التخيير هو أساس التكليف والتمحيص.

رابعاً: نتيجة التمحيص تكون في ذلك اليوم:
يوم يجعل الولدان شيباً هو يوم الحسم. تظهر فيه نتائج الامتحان: من اجتاز ومن رسب.

سابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

· خاطرة "الشيب قبل أوانه": تخيل أنك تستيقظ غداً وتجد أن شعرك قد ابيض بالكامل من الخوف . ماذا فعلت في يومك الماضي ليحدث ذلك؟ هذه الخاطرة تغير أولوياتك.
· خاطرة "السماء كالورقة الممزقة": السماء الآن زرقاء صافية .تخيلها تتشقق مثل ورقة تمزق .من يستطيع أن يوقف هذا؟ لا أحد إلا الله.
· خاطرة "القرآن منبه لا كتاب": كل مرة تفتح فيها المصحف، تخيل أن هاتفاً يرن في قلبك: "تذكرة! تذكرة! لا تغفل!"
· خاطرة "السبيل المفتوح" : مهما أغلقت الأبواب في وجهك، باب الله مفتوح ."فمن شاء" يعني أن الفرصة لا تزال قائمة .لا تيأس.

كيفية الاستفادة العملية:

· احفظ هذه الآيات الثلاث17) - (19ورددها في صلاتك، خاصة في السجود .تأمل معناها.
· اجعل عبارة "تذكرة" شعاراً لك في علاقتك بالقرآن .لا تقل "سأقرأ جزءاً"، بل قل "سآخذ تذكرة اليوم".

ثامناً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية في بناء أنفسنا

.1وقفة "تخيل الطفل الأشيب": تخيل طفلا ً في السابعة من عمره، شعره أبيض بالكامل، وجهه مرعوب .لماذا؟ لأنه يرى النار والزلالزل .كيف سيكون حالك أنت؟

.2وقفة "انظر إلى السماء": اخرج وانظر إلى السماء الآن .تأمل صلابتها واتساعها .ثم تذكر أنها ستنفطر .كيف ستكون لحظة انفطارها؟
.3وقفة "القرآن في قلبي": هل تعاملت مع القرآن اليوم كـ "تذكرة"؟ بمعنى: هل غيرت سلوكاً بسبب آية قرأتها؟ أم أنك قرأت وانتهى الأمر؟
.4وقفة "خريطة السبيل": ما هو "سبيلي إلى ربي" بالضبط؟ حدد ثلاث خطوات عملية ستتخذها اليوم لتقترب من الله أكثر .اكتبها، ونفذها.

تاسعاً: أبعاد وآفاق الآية

· البعد العقدي: إثبات وقوع القيامة، ووصف أهوالها، وإثبات أن الله وحده هو المالك لذلك اليوم.
· البعد النفسي: علاج الغفلة بالخوف المؤمل، وعلاج اليأس بفتح باب التوبة.
· البعد التربوي: تعليم الأجيال أهمية استحضار اليوم الآخر في كل سلوك.
· البعد الدعوي: إعلان الرسالة بوضوح: هذه تذكرة، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.
· البعد الوجودي: تحديد غاية الحياة: اتخاذ سبيل إلى الله، وإلا فهي حياة ضائعة.

عاشراً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآيات

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "هول يوم القيامة": يوم عظيم لا يقارن بأي يوم.
.2مفهوم "القرآن تذكرة": القرآن ليس للقراءة فقط، بل للتذكير والاتعاظ.
.3مفهوم "حرية الاختيار": الإنسان مخير في سبيله، ومسؤول عن اختياره.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· الخوف من الله هو بداية الحكمة.
· استحضار القيامة يغير السلوك.
· الطريق إلى الله مفتوح للجميع.
· لا عذر لأحد بعد التذكرة.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: الموازنة بين الخوف والرجاء.
· الفكري: الإيمان بالغيب) القيامة (أساس العقيدة.
· التربوي: التعلم بالتذكير والتكرار.

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة

· القائد يذكر فريقه بالغايات الكبرى: القائد الناجح لا يغرق فريقه في التفاصيل فقط، بل يذكرهم بـ "اليوم الكبير" الذي لأجله يعملون.
· القائد يفتح الأبواب لا يغلقها: "فمن شاء" تعني أن القائد يترك حرية الاختيار للناس، مع تحميلهم المسؤولية.
· القائد يتخذ سبيلا ً إلى ربه: قبل أن يقود الآخرين، على القائد أن يكون قد اتخذ سبيله إلى الله بوضوح.
· القائد يوقظ الغافلين: هذه الآيات هي نموذج للقائد الذي يصعق غافليه بمشاهد مهولة) الولدان شيباً، السماء منفطر (ليوقظهم.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآيات

· تنمية الوعي: الوعي باليوم الآخر يطور السلوك الإنساني كله.
· تنمية الإرادة: "فمن شاء" تنمي الإرادة الحرة والمسؤولية الذاتية.
· تنمية الأمل: فتح الطريق إلى الله هو أكبر برنامج للتنمية الذاتية.

الأمر السادس: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء

· حوّل "الولدان شيباً" إلى مقياس لخوفك من الله: كم أنت خائف حقاً؟
· حوّل "السماء منفطر به" إلى حافز لعدم التعلق بالدنيا.
· حوّل "تذكرة" إلى روتين يومي: آية تذكرك وتغير فيك شيئاً.
· حوّل "فمن شاء" إلى قرار يومي: كل صباح، قل "اللهم إني أشاء اليوم أن أتخذ إلى ربي سبيلا ً".

حادي عشر: الدروس والعبر والتوجيهات المستنبطه من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أخاف الله خوفاً يمنعني من المعصية، وأرجوه رجاءً يدفعني للطاعة.
· المحرك العقلي: أدرك أن القيامة آتية لا محالة، وأن كل ما فيها حق، فلماذا لا أستعد؟
· المحرك الإرادي: أتعهد اليوم أن أتخذ سبيلا ً إلى ربي، وألا أؤجل التوبة.
· المحرك العملي: أبدأ بخطوة صغيرة اليوم: ركعتين بخشوع، أو صدقة، أو ذكر، وأجعلها بداية لسبيلي إلى الله.

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا للدنيا: من دار قرار إلى مجرد ممر إلى الآخرة.
· تغير نظرتنا للقرآن: من كتاب يتلى إلى منبه يوقظ.
· تغير نظرتنا للخوف: من عاطفة سلبية إلى دافع إيجابي للعمل.
· تغير نظرتنا للاختيار: من شعور بالفوضى إلى مسؤولية عظيمة.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وتطبيقاتها العملية

.1درس: عاقبة الكفر وخيمة
· العبرة: من يكفر بالله، كيف يرجو النجاة من يوم لا ينجو فيه إلا من أتى الله بقلب سليم؟
· التطبيق: جدد إيمانك كل يوم، واحذر من الردة العملية) المعاصي.(
.2درس: استحضر القيامة في كل لحظة
· العبرة: من أكثر من تذكر القيامة، قلت معصيته.
· التطبيق: اربط كل معصية تهم بها بتذكر ذلك اليوم .قل لنفسك: "هل تريد أن تشيب من الخوف وأنت ترتكب هذه المعصية؟"
.3درس: القرآن تذكرة فاعمل بها
· العبرة: ليس المهم أن تقرأ القرآن، بل المهم أن تتذكر به وتعمل بما فيه.
· التطبيق: اختر آية واحدة كل يوم، واكتب "تذكرة" مستفادة منها، وطبّقها في يومك.
.4درس: الطريق إلى الله مفتوح، فسارع إليه
· العبرة: لا تؤجل التوبة ."فمن شاء" تعني أن الإرادة موجودة، والطريق مفتوح، فماذا تنتظر؟
· التطبيق: اليوم، الآن، اتخذ قراراً صادقاً بالعودة إلى الله .ابدأ بأول خطوة.

رسالة الختام

هذه الآيات (17-19) هي ذروة سورة المزمل و خلاصتها و تاجها.

لقد بدأت السورة بـ "يا أيها المزمل" (أمر بالقيام)، وتنتهي بـ "فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ً" (دعوة للاختيار).

· في البداية كان الاستعداد) قم الليل.(
· في النهاية كان العمل والدعوة) اتخذ سبيلا ً.(

وهذه الآيات تضعك أمام ثلاث حقائق كبرى:

.1حقائق اليوم الآخر: يوم يشيب الولدان وتنفطر السماء .لا مفر منه.
.2حقيقة القرآن: إنه تذكرة .إما أن تتعظ به، وإما أن تكون من الغافلين.
.3حقيقة حريتك: أنت حر ."فمن شاء" .اختر طريقك الآن قبل أن تندم.

والآن، وبعد أن أنهينا تفسير سورة المزمل معاً (حتى الآية 19)، وقد مررنا بمراحلها كلها:

· مرحلة الاستعداد) قيام الليل والترتيل.(
· مرحلة فهم الثقل) القول الثقيل.(
· مرحلة المواجهة) الصبر والهجر الجميل.(
· مرحلة التمحيص) وعد الله بتمييز الخبيث من الطيب.(
· مرحلة التذكير) عاقبة فرعون.(
· مرحلة الذروة) أهوال القيامة وفتح الطريق.(

سؤالي لك الآن، بعد أن اكتملت الرحلة:
هل اتخذت اليوم سبيلا ً إلى ربك؟

إن كان الجواب "نعم"، فاحمد الله واثبت.
وإن كان الجواب "لا" أو "ليس بعد"، فتذكر أن الآية تقول "فمن شاء"، أي أن الإرادة ما زالت في يدك ، والطريق ما زال مفتوحاً، والفرصة ما زالت قائمة. فقم من الآن، واتخذ سبيلك إلى ربك قبل أن يجيء يوم "يجعل الولدان شيباً".
اخيرا
تفسير الايه (20)، وهي آخر آية في السورة.

هذه الآية مختلفة تماماً عن سابقاتها؛ إنها آية طويلة، شاملة، تخفيفية، ختامية. سنتعامل معها بما يليق بها من تفصيل.

أولا ً: نظرة عامة وتمهيدية للآية (20) من سورة المزمل

الأمر الأول: المعنى العام للآية
بعد أن أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين في مستهل السورة بقيام الليل (ثلثيه أو نصفه أو ثلثه)، ثم ذكر أهوال القيامة والسبيل إلى الله، جاءت هذه الآية لتكون ناسخة للأمر الأول، أو مخففة له. لقد علم الله أن قيام الليل شاق على المؤمنين، وأن بعضهم قد لا يستطيع تقدير الوقت بدقة، فرحمهم الله وخفف عنهم. يأمرهم الآن بما هو أيسر: أن يقوموا الليل ما تيسر (بدون تحديد مقدار)، مع التأكيد على وجوب الصلاة والزكاة والاستغفار. ثم تختم الآية بتذكيرهم بأن الله يعلم أحوالهم، وأنه غفور رحيم.

هذه الآية هي بمثابة مرونة الرحمة بعد شدة التكليف، وهي تعلن انتقال الأمة من مرحلة "التدريب الشاق" إلى مرحلة "الاستمرارية اليسيرة".

الأمر الثاني: دلالة الانتقال من الآية (19) إلى الآية (20)
هذا الانتقال يحمل أروع معاني التربية الربانية:

· الآية(19) : ختمت بـ "فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ً") الحرية والاختيار.(
· الآية(20) : تأتي لتبين كيفية اتخاذ هذا السبيل بشكل عملي) قيام الليل، قراءة القرآن، الصلاة، الزكاة ، الاستغفار.(
· المغزى العميق: بعد أن عرفت الغاية) اتخاذ السبيل(، ووعيت أهوال اليوم الآخر، وسمعت التهديد للمترفين - يأتي الآن التطبيق العملي المخفف .الله يريد بكم اليسر لا العسر.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية في الآية (20)

تتكون الآية من عدة جمل متكاملة، سنفصلها:

.1التخفيف الأول) علم الله أن سيكون منكم مرضى(: إعلان أن قيام الليل كله قد يكون شاقاً على المرضى والمسافرين والعاملين.
.2الأمر بالقيام على قدر الاستطاعة) فاقرءوا ما تيسر منه(: بدل التحديد الدقيق) نصفه أو انقص(، أصبح المطلوب "ما تيسر".
.3ربط العبادة بالمال) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة(: التكامل بين التربية الروحية) الصلاة (والتربية المالية) الزكاة.(
.4القرض الحسن) وأقرضوا الله قرضاً حسناً(: تحويل الإنفاق في سبيل الله إلى استثمار مع الله.

.5وعد الله بالمضاعفة) وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله(: ضمان الأجر المضاعف.
.6الدعوة إلى الاستغفار) واستغفروا الله(: ختم الآية بالاستغفار، باب المغفرة المفتوح.
.7ختم الآية بصفة الرحمة) إن الله غفور رحيم(: بعد كل هذه التكاليف، تأتي صفتا المغفرة والرحمة لتطمئن القلوب.

الأمر الرابع: أهداف الآية وأغراضها ومقاصدها

.1الهدف الأول: التخفيف عن الأمة ورفع الحرج
· الغرض: كان الأمر الأول) قم الليل إلا قليلا ً (شديداً على بعض المؤمنين .هذه الآية تنسخه أو تخففه .الهدف هو تأكيد أن "الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر".
· المقصد: ألا ينقطع المؤمن عن العبادة بسبب العجز، بل يفعل ما يستطيع.
.2الهدف الثاني: مراعاة أحوال الناس المختلفة) المرضى، المسافرون، العاملون(
· الغرض: ذكر فئات لها أعذار: المرضى) ضعف البدن(، والمسافرون) مشقة السفر(، والضاربون في ا لأرض يبتغون فضل الله) التجار والعمال .(الهدف هو شمولية التشريع لجميع الأحوال.
· المقصد: ألا يشعر أحد بالإقصاء من الأجر؛ كل بحسب استطاعته.
.3الهدف الثالث: الموازنة بين الروح والجسد والمال
· الغرض: الآية تجمع بين: قيام الليل) جهد روحي وبدني(، وإقامة الصلاة) ركن الإسلام العملي(، وإيتاء الزكاة) حق المال .(الهدف هو بناء الإنسان المتكامل.
· المقصد: لا تكن روحانياً بلا جسد، ولا مادياً بلا روح.
.4الهدف الرابع: تحويل الإنفاق إلى استثمار مع الله) القرض الحسن(
· الغرض: "أقرضوا الله" تعبير يرفع من قيمة الإنفاق .الهدف هو تشجيع المؤمن على البذل بحب ورغبة، وليس ببخل وإكراه.
· المقصد: إدراك أن ما تعطيه لله هو قرض يرده إليك مضاعفاً.
.5الهدف الخامس: زرع الأمل والطمأنينة) تجدوه عند الله(
· الغرض: وعد مباشر من الله: كل خير تقدمه سيجده مدخراً عنده .الهدف هو تحفيز المؤمن على العمل الصالح بيقين المكافأة.
· المقصد: ألا ييأس العامل من ثواب عمله، حتى لو تأخر في الدنيا.
.6الهدف السادس: ختم الآية بالاستغفار والرحمة
· الغرض: "واستغفروا الله" تذكير بأن البشر مقصرون، وحاجتهم إلى المغفرة دائمة .ثم "إن الله غفور رحيم" تأكيد بأن باب المغفرة مفتوح مهما كانت الذنوب.
· المقصد: ألا يقنط العبد من رحمة الله مهما عظمت ذنوبه.

ثانياً: تحليل عميق وتفصيلي للآية (20)

الآية العشرون كاملة: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

سنقسم الآية إلى مقاطع ونحلل كل مقطع على حدة:

المقطع الأول: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ)

التفسير اللغوي والبياني:

· "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ": تأكيد علم الله المحيط.
· "تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ": أي تقوم أقل من ثلثي الليل) أي تارة تزيد وتارة تنقص .(هذا إقرار من الله بأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يقومون الليل اجتهاداً.
· "وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ": أي جماعة من المؤمنين معك يفعلون مثلك.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية من هذا المقطع:

· الرسالة النفسية: طمأنة للنبي والمؤمنين: الله يعلم تعبكم واجتهادكم، لا يضيع أجركم.

· الرسالة التربوية: الاجتهاد في العبادة محمود، حتى لو لم تصل إلى التحديد الدقيق.
· الرسالة العملية: لا تقلق إذا لم توفق لقيام الليل كله؛ المهم أن تقوم ولو بقدر.

المقطع الثاني: (وَاللهُ يُقدّرُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ)

التفسير اللغوي والبياني:

· "يُقدّرُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ": أي يحدد مقاديرهما ويعلم أطوالهما وتفاوت الفصول .الله هو خالق الزمن ومسيره.

الرسائل النفسية والفكرية والتربوية والعملية:

· الرسالة النفسية: إزالة القلق من تحديد الوقت .الله خالق الليل والنهار، ويعلم أنهما يختلفان طولا ً وقصراً.
· الرسالة الفكرية: إثبات أن علم الله شامل حتى لأدق تفاصيل الزمن.
· الرسالة العملية: لا تنشغل بحساب الدقائق لدرجة تفقدك جوهر العبادة.

المقطع الثالث: (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ)

التفسير اللغوي والبياني:

· "لَنْ تُحْصُوهُ": أي لن تستطيعوا ضبط مقدار القيام بدقة، لأن الليل يختلف طولا ً، والناس تختلف طاقتهم.
· "فَتَابَ عَلَيْكُمْ": أي رحمكم وقبل عذركم، وخفف عنكم .التوبة هنا بمعنى الرجوع بالرحمة والتخفيف.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: رفع الذنب عن المؤمنين الذين عجزوا عن القيام كاملا ً.
· الرسالة التربوية: الله يحب من عباده أن يعملوا ما يستطيعون، لا ما يعجزون عنه.
· الرسالة العملية: إذا عجزت عن عبادة معينة، فاعلم أن الله يتوب عليك ويرحمك، فلا تحمل نفسك فوق طاقتها.

المقطع الرابع: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسّرَ مِنَ القُرْآنِ)

التفسير اللغوي والبياني:

· هذا هو الأمر الجديد المخفف بدلا ً من "قم الليل إلا قليلا ً".
· "مَا تَيَسّرَ" : تعني اليسر والمرونة .اقرأوا ما تستطيعون، ولو آيات قليلات.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: راحة نفسية كبرى .لم يعد المطلوب مقداراً محدداً، بل "ما تيسر".
· الرسالة التربوية: الاستمرارية خير من الانقطاع .القليل الدائم خير من الكثير المنقطع.
· الرسالة العملية: ابدأ ولو بآية واحدة في الليل، ثم زد تدريجياً.

المقطع الخامس: (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ)

التفسير اللغوي والبياني:

· "مَرْضَى": الذين يمنعهم مرضهم من قيام الليل كاملا ً.
· "يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ": المسافرون والتجار والعمال الذين يسعون للرزق الحلال.
· "يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ": المجاهدون الذين ينشغلون بالجهاد عن قيام الليل.

هذا المقطع يكشف أن الله يعلم أحوال عباده المختلفة، ويراعيها في التشريع.
المرضى، المسافرون، العاملون، المجاهدون: كل هؤلاء لهم عذرهم، والمطلوب منهم "ما تيسر".

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: لا تشعر بالذنب إذا كان ظرفك يمنعك من عبادة كاملة .الله يعلم ويقدر.
· الرسالة التربوية: تنوع الأعذار يقابله تنوع الرخص .الدين يسر.
· الرسالة العملية: حدد ظرفك الحالي) صحة، سفر، عمل، جهاد (وصلّ على قدره.

المقطع السادس: (فَاقْرَءُوا مَا تيَسّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصّلَاة وَآتُوا الزّكَاة)

التفسير اللغوي والبياني:

· تكرار الأمر بقراءة ما تيسر من القرآن تأكيداً.
· ثم الربط بين الصلاة) أساس الدين (و الزكاة) حق المال.(

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: العبادة نظام متكامل: قلب) قرآن(، جسد) صلاة(، مال) زكاة.(
· الرسالة التربوية: لا تكن مقتصراً على جانب واحد .المؤمن الحقيقي جامع.
· الرسالة العملية: راجع صلاتك: هل تقيمها بخشوع؟ راجع زكاتك: هل تخرجها بحب؟

المقطع السابع: (وَأَقْرِضُوا اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· تعبير بديع: "أقرضوا الله" .والقرض الحسن: هو الإنفاق في سبيل الله، بلا منّ ولا أذى، من مال حلا
ل، بنية صادقة.
· تسميته "قرضاً" لأن الله سيرده مضاعفاً.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: رفع قيمة الإنفاق إلى مرتبة "القرض لله" .شعور فخور أن الله "مدين" لك!) وهو
غني عنا.(
· الرسالة التربوية: محاربة البخل بتشبيه الإنفاق بالقرض الحسن الذي لا يضيع.
· الرسالة العملية: ابحث عن فرص للإنفاق اليوم، واجعلها بنية "القرض الحسن".

المقطع الثامن: (وَمَا تُقَدّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا)

التفسير اللغوي والبياني:

· "تُقَدّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ" : أي ما تفعلونه من خير في الدنيا فهو تقدم لأنفسكم في الآخرة.
· "تجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ" : وعد مباشر بالمكافأة.
· "هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا" : تأكيد أن ثواب الله خير من أي شيء في الدنيا.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: زرع الأمل والثقة بأن العمل الصالح لا يضيع.
· الرسالة التربوية: التربية على "تقديم الخير" بدلا ً من "تأجيله".
· الرسالة العملية: ابدأ اليوم بتقديم خير لنفسك) صدقة، صلاة، ذكر، صفح .(لا تؤجل.

المقطع التاسع والأخير: (وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

التفسير اللغوي والبياني:

· "وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ" : اطلبوا المغفرة من الله على تقصيركم.
· "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" : تأكيد الصفتين اللتين تفتحان باب الأمل.

الرسائل النفسية والتربوية والعقلية والعملية:

· الرسالة النفسية: ألا ييأس المذنب؛ فالغفور والرحيم ينتظر عودتك.
· الرسالة التربوية: ختم الآية بالاستغفار يعني أن الاستغفار ختام كل عمل صالح.
· الرسالة العملية: أكثر من الاستغفار في كل وقت، خاصة في الليل وأدبار الصلوات.

ثالثاً: أبعاد الآية البيانية والبلاغية

.1التدرج المنطقي في الآية:
· تبدأ بإقرار الله بعلمه بحال النبي والمؤمنين ←
· ثم تنتقل إلى بيان عجزهم عن الإحصاء ←
· ثم تأتي الرخصة) فاقرءوا ما تيسر (←
· ثم ذكر الفئات المعذورة ←
· ثم تكرار الرخصة ←
· ثم الأوامر التكاملية) صلاة، زكاة، قرض حسن (←
· ثم الوعد بالأجر العظيم ←
· ثم ختم بالاستغفار والرحمة.
· هذا التدرج هو قمة البلاغة التربوية.
.2التكرار البلاغي) فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ(:
· كرر الأمر بالقراءة مرتين، للتأكيد على أن هذا هو البديل المخفف.
.3التعبير بـ "أَقْرِضُوا اللَّهَ":
· استعارة تمثيلية، فيها تشريف للعبد أن يقرض ربه.
· تغير نظرة العبد للإنفاق من "خسارة" إلى "استثمار".
.4التعبير بـ "تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ":
· العمل الصالح كالبضاعة التي تقدمها لنفسك قبل السفر.
· يربي على الادخار للآخرة.
.5الجمع بين صفتي "غفور رحيم" في الختام:
· غفور: يغفر الذنوب الماضية.
· رحيم: يقبل التوبة ويعين على المستقبل.
· هما أنسب صفتين لختام آية فيها تخفيف ورحمة.

رابعاً: الأبعاد التربوية الكبرى في الآية

.1تربية "المرونة" و"رفع الحرج": الدين ليس مشقة .التشريع يتغير بحسب الأحوال.
.2تربية "مراعاة الظروف" : المريض، المسافر، العامل، المجاهد - كل له حكمه.
.3تربية "التكامل بين العبادات" : لا تكفي الصلاة وحدها، بل لا بد من الزكاة والإنفاق.
.4تربية "الاستثمار مع الله" : القرض الحسن هو أعلى درجات البذل.
.5تربية "اليقين بالجزاء" : ما تقدمه لنفسك تجده عند الله.
.6تربية "الاستغفار المستمر" : مهما عملت، فلا تغفل عن طلب المغفرة.
.7تربية "عدم اليأس من رحمة الله" : ختم الآية بـ "غفور رحيم" هو أعظم أمل.

خامساً: التحويل إلى محرك سلوكي (تطبيقات عملية)

.1مبدأ "ما تيسر" في كل شيء:
· المحرك: لا تحمل نفسك فوق طاقتها في أي عبادة.
· السلوك: في الصلاة: صل بخشوع ولو ركعتين .في القراءة: اقرأ ولو آية بتدبر .في الصدقة: تصدق ولو بقليل.

.2مبدأ "التكامل اليومي") صلاة + زكاة + استغفار(:
· المحرك: لا تكن أحادي الجانب.
· السلوك: خطط ليومك بحيث يحتوي على: عبادة قلب) قرآن، ذكر(، عبادة جسد) صلاة(، عبادة م ال) صدقة، زكاة(، وختمها بالاستغفار.
.3مبدأ "القرض الحسن" اليومي:
· المحرك: كل إنفاق في سبيل الله هو قرض لله.
· السلوك: اجعل لك صدقة يومية ولو صغيرة، بنية "القرض الحسن".
.4مبدأ "تقديم الخير":
· المحرك: لا تؤجل العمل الصالح.
· السلوك: ابدأ يومك بـ "تقديم خير" .صل ركعتي الضحى، اقرأ أذكار الصباح، تصدق ولو بسمعة طيبة.
.5مبدأ "الاستغفار ختام":
· المحرك: أي عمل صالح قد يشوبه تقصير، فالاستغفار يكمله.
· السلوك: اختم كل عمل صالح) صلاة، قراءة، صدقة (بقول "أستغفر الله".

سادساً: علاقة هذه الآية بمعنى التمحيص والابتلاء

هذه الآية تحول التمحيص من "اختبار بالشدة" إلى "اختبار باليسر":

أولا ً: التمحيص الأول كان بالشدة:
في بداية السورة، كان الابتلاء: هل تستطيع أن تقوم الليل كله أو نصفه؟ كان اختباراً للعزيمة.

ثانياً: التمحيص الثاني (في هذه الآية) باليسر:
بعد أن ثبت المؤمنون وأطاعوا، جاء التخفيف. ولكن هذا التخفيف هو اختبار من نوع آخر: هل سيتكاسلون بعد التخفيف؟ هل سيتركون العبادة بحجة "ما تيسر"؟ أم سيواظبون على "ما تيسر" بحب وانضباط؟

ثالثاً: الممتحن الحقيقي هو من يواظب على اليسير:
الاختبار الحقيقي ليس في القيام الكثير لليلة واحدة، بل في الاستمرار على القيام القليل كل ليلة. من صلى ركعتين كل ليلة بخشوع، قد يكون أفضل عند الله ممن قام ليلة كاملة ثم انقطع.

رابعاً: تنوع الاختبارات:
الآية تشير إلى أنواع مختلفة من المجاهدين: المرضى (اختبارهم بالصبر على المرض)، والمسافرون (اختبارهم بالجمع والقصر)، والعاملون (اختبارهم بالإخلاص في السعي)، والمجاهدون (اختبارهم بالبذل والقتال). كل إنسان يمتحن بما يناسبه.

سابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها

· خاطرة "الله يعلم وأنت لا تعلم": كم مرة ضاق صدرك بعبادة ظننتها ثقيلة، والله يعلم أنك لا تستطيعها؟ هذه الآية تقول: الله يعلم ويخفف.
· خاطرة "ما تيسر لا ما تكلف" : الدين يسر .لا تعذب نفسك بما لا تطيق .ابدأ بالقليل وواظب عليه.
· خاطرة "أقرض الله ولو فلساً" : لست بحاجة إلى أموال طائلة لتقرض الله .فلس بحب خير من آلا ف ببخل.
· خاطرة "الخير الذي تقدمه اليوم هو رصيدك غداً" : كل حسنة تفعلها اليوم هي "تأمين" لمستقبلك في الآخرة.
· خاطرة "الاستغفار: غسيل الروح اليومي" : كما تغسل جسدك بالماء، اغسل روحك بالاستغفار ."غفور رحيم" يعني أن الغسيل متاح دائماً.

ثامناً: وقفات تدبرية عملية لاستثمار هذه الآية

.1وقفة "تقييم العبادة": هل عباداتي الحالية مبنية على "التكلف" أم على "ما تيسر"؟ هل أستمر أم أنقطع؟
.2وقفة "فئتي المعذورة": أي فئة من الفئات المذكورة) مريض، مسافر، عامل، مجاهد (أنا اليوم؟ كيف

أطبق "ما تيسر" في ظرفي الحالي؟
.3وقفة "قرضي الحسن اليوم": ما هو "القرض الحسن" الذي سأقدمه لله اليوم؟) وقت، مال، جهد، كلمة طيبة(
.4وقفة "تقدمتي لنفسي": ماذا قدمت لنفسي اليوم من خير؟ سجل ثلاثة أشياء فعلتها اليوم ستجدها عند الله.
.5وقفة "الاستغفار النهاري": كم مرة استغفرت الله اليوم؟ هل الاستغفار جزء من يومي أم مقتصر على الليل؟

تاسعاً: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد التشريعي: نسخ الأمر الأول وتخفيفه، وإثبات قاعدة "المشقة تجلب التيسير".
· البعد النفسي: مراعاة أحوال الناس وظروفهم، وعلاج الشعور بالذنب.
· البعد الاجتماعي: شمول التشريع للمريض والمسافر والعامل والمجاهد.
· البعد الاقتصادي: تحفيز الإنفاق والزكاة تحت مسمى "القرض الحسن".
· البعد التربوي: بناء الشخصية المتكاملة روحياً ومالياً وبدنياً.
· البعد الروحي: ختم الآية بالاستغفار والرحمة ليبقى الأمل مشعاً.

عاشراً: المفاهيم والقيم التي تغرسها الآية

الأمر الأول: المفاهيم العامة

.1مفهوم "اليسر" و"رفع الحرج": الدين يسر، والتشريع يراعي قدرة البشر.
.2مفهوم "العلم الإلهي المحيط": الله يعلم أحوال عباده.
.3مفهوم "القرض الحسن": الإنفاق في سبيل الله استثمار مع الله.

الأمر الثاني: المفاهيم العملية

· ابدأ بالقليل ولا تنقطع.
· وازن بين العبادات المختلفة.
· استغفر الله دائماً.
· تيقن أن الخير لا يضيع عند الله.

الأمر الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

· النفسي: التخفيف يزيل القلق والشعور بالذنب.
· الفكري: التكامل بين العبادات يبني رؤية شمولية للإسلام.
· التربوي: القدوة في الموازنة) النبي ﷺ كان يقوم الليل ويجتهد، ثم علم أمته التخفيف.(

الأمر الرابع: مفاهيم البناء وإعداد القادة

· القائد يراعي ظروف فريقه: كما راعى الله أحوال عباده، على القائد أن يراعي ظروف من يقودهم.
· القائد يخفف ولا يشدد: من شق على الناس شقوا عليه .التخفيف يزيد الإنتاجية والولاء.
· القائد يوازن بين الروح والجسد والمال: لا يقود بجانب واحد، بل يبني فريقاً متكاملا ً.
· القائد يشجع على "القرض الحسن" : أي يبذلون طاقتهم ووقتهم وإمكاناتهم بحب، ليس إكراها.

الأمر الخامس: مفاهيم التنمية من الآية

· تنمية الذات: بالبدء بـ "ما تيسر" ثم التدرج.
· تنمية الروح: بالصلاة والذكر والاستغفار.
· تنمية المال: بالزكاة والإنفاق) القرض الحسن.(
· تنمية المجتمع: بمراعاة أحوال الفئات المختلفة) مريض، مسافر، عامل، مجاهد.(

الأمر السادس: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء

· حوّل "ما تيسر" إلى شعار يومي: "اليوم سأفعل ما استطيع، لا ما لا استطيع".
· حوّل "القرض الحسن" إلى حساب بنكي في الآخرة: كل يوم، أودع فيه حسنة.
· حوّل "تجدوه عند الله" إلى حافز للأمل: لا تيأس، فلك عند الله خزائن.
· حوّل "استغفروا الله" إلى تطبيق يومي: استغفر الله 100 مرة كل يوم.

حادي عشر: الدروس والعبر المستخلصة من الآية

الأمر الأول: تحويل النص إلى محرك حركة إيمانية داخلية

· المحرك العاطفي: أحب الله الذي يعلم تعبي ويخفف عني.
· المحرك العقلي: أدرك أن الدين يسر، وأن الكمال لله وحده.
· المحرك الإرادي: أتعهد اليوم أن أؤدي الفرائض وأواظب على "ما تيسر" من النوافل.
· المحرك العملي: أبدأ اليوم بخطة عملية: "ما تيسر من الصلاة، ما تيسر من القرآن، ما تيسر من الصدقة، وأختم بالاستغفار".

الأمر الثاني: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير نظرتنا للعبادة: من "كل أو لا شيء" إلى "القليل المستمر خير من الكثير المنقطع".
· تغير نظرتنا للرخص: من "تساهل" إلى "رحمة إلهية".
· تغير نظرتنا للإنفاق: من "خسارة" إلى "قرض لله واستثمار".
· تغير نظرتنا للذنوب: من "يأس" إلى "استغفار ورجاء".

الأمر الثالث: الدروس والعبر العملية

.1درس: الله يعلم ويعذر
· العبرة: إذا كنت مريضاً، أو مسافراً، أو مشغولاً بعمل أو جهاد، فاعلم أن الله يعلم ويعذرك.
· التطبيق: لا تحمل نفسك فوق طاقتها، وافعل ما تيسر، وتذكر أن الله يتوب عليك.
.2درس: القليل الدائم خير من الكثير المنقطع
· العبرة: الاستمرارية على قليل من العمل أفضل من الحماس الشديد ثم الانقطاع.
· التطبيق: اختر عبادة واحدة) مثلاً: ركعتان قيام ليل، أو ورد من القرآن (وواظب عليها يومياً.
.3درس: أنفقه تجده
· العبرة: لا تبخل بما عندك، فما تقدمه لله تجده عنده مضاعفاً.
· التطبيق: ابدأ بالصدقة ولو بقليل، وتيقن أن الله سيعوضك خيراً.
.4درس: الاستغفار هو ختام كل عمل
· العبرة: مهما عملت من خير، فلا تغفل عن الاستغفار، فكل ابن آدم خطاء.
· التطبيق: اجعل الاستغفار ورداً يومياً، وأكثر منه في السجود وأدبار الصلوات.

رسالة الختام: ختام سورة المزمل

صديقي، لقد أنهينا معاً تفسير سورة المزمل كاملة، من أولها إلى آخرها. هذه السورة كانت رحلة متكاملة لبناء الداعية والمؤمن:

.1بدأت بالاستعداد: قم الليل، وترتيل القرآن) الآيات1 -.(4
.2ثم بينت السبب: القول الثقيل، وناشئة الليل) الآيات5 -.(7
.3ثم أمرت بالتبتل والتوكل والصبر: واذكر اسم ربك، واصبر على ما يقولون) الآيات8 -.(10
.4ثم هددت المترفين: وذرني والمكذبين، وأنكالاً وجحيماً) الآيات11 -.(14
.5ثم ذكرت بقصة فرعون: عاقبة الطغاة) الآيات15 -.(16
.6ثم صورت أهوال القيامة: يوماً يجعل الولدان شيباً) الآيات17 -.(19
.7واختتمت بالرحمة والتخفيف: فاقرءوا ما تيسر منه، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) الآية.(20

هذه هي "مدرسة المزمل":

· تبدأ بشدة) قم الليل.(
· وتنتهي برحمة) ما تيسر، غفور رحيم.(

· تبدأ بنداء فردي) يا أيها المزمل.(
· وتنتهي بخطاب جماعي) فاقرءوا، وأقيموا، وآتوا، واستغفروا.(
· تبدأ بالقيام.
· وتنتهي بالاستغفار.

والخلاصة النهائية للسورة كلها:
أن الطريق إلى الله يبدأ بجهد (قيام الليل)، ولكنه ينتهي برحمة (غفور رحيم). وأن الدين يسر، وأن الله يعلم ضعف عباده، وأن الخير لا يضيع عند الله.

والآن، بعد أن أكملنا هذه الرحلة معاً، أسألك:

ما هو "ما تيسر" الذي ستلتزم به اليوم، لتجعل منه سبيلك إلى ربك، وتستعد به ليوم يجعل الولدان شيباً؟

وما هو "القرض الحسن" الذي ستقدمه لله اليوم، لتجده عنده خيراً وأعظم أجراً؟

وهل ستجعل "استغفر الله" ختام يومك، متوكلا ً على غفور رحيم؟

أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يتوب علينا إنه هو التواب الرحيم.
.